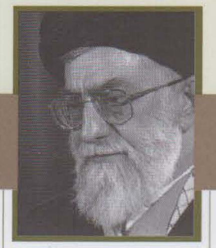


ن
نصر ونهضة

أدبيّات النّهوض

دراسات في فكر
الإمام الخامنئي

المرأة
في فكر الإمام الخامنئي

د. طلال عتريسي

د. سعاد الحكيم

أ. أميرة برغل



المـــــــرأة

في فكر الإمام الخامنئي

اسم الكتاب: **المرأة في فكر الإمام الخامنئي**

المؤلّف: **مجموعة من الباحثين**

الناشر: **دار المعارف الحكميّة**

إخراج الكتاب: Idea Creation

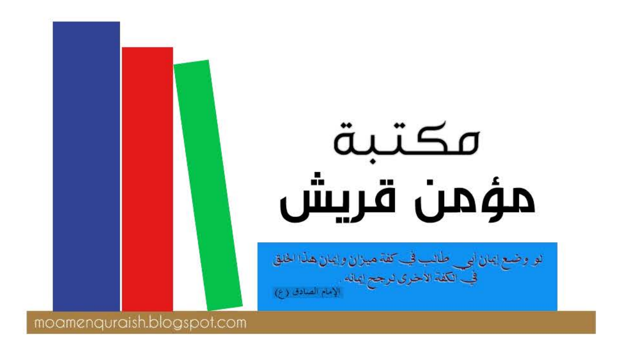
عدد الصفحات: ٨٤

القياس: ٢١,٥*١٤,٥

تاريخ الطبع: ٢٠١٣

الطبعة الأولى

[١٤٣٤ هـ. - ٢٠١٣ م.]





العنوان: حارة حريك - الشارع العريض - سنتر صولي - ط٢ شمالي
تلفاكس: ٥٤٤٦٢٢-٠١ - Email: almaaref@shurouk.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

تمهيد

أولويّات دور المرأة في فكر الإمام الخامنئي

د. طلال عتريسي

تثير قضيّة المرأة، منذ عقود، الكثير من النقاش على المستويات كافّة: الحقوقيّة، والاجتماعيّة، وحتّى البيولوجيّة. وما كان من البديهيّات أو الثوابت في السنوات الماضية وفي الأدبيّات الدينيّة أو الاجتماعيّة والثقافيّة لم يعد كذلك. فقد طُرحت الأسئلة ليس فقط على مستوى حقوق أو واجبات كلّ من الزوجَين، أو أدوار كلّ من الرجل والمرأة في المجتمع، بل تجاوز الأمر ذلك إلى رفض اختلاف الأدوار، استنادًا إلى الاختلاف البيولوجيّ الذي يعود إليه الكثيرون في التمييز بين أدوار ووظائف الذكور والإناث. وقد كانت فكرة «الجندر» صريحةً وواضحةً في هذا المجال عندما دعت إلى تجاوز هذا التمييز «الجندريّ» من أجل علاقات متساوية، بغضّ النظر عن النوع الجنسيّ في المجتمع. هكذا طُرحت الأسئلة حول الأدوار في داخل الأسرة بين الرجل والمرأة، وحول السلطة فيها، وحول الوظائف الأساسيّة للمرأة، وهل هناك حقًّا وظائف أساسيّة في مقابل وظائف ثانويّة يمكن أن تتخلّى عنها إذا تعارضت مع وظائفها أو أدوارها الأساسيّة.

كان من الطبيعيّ أن يتناول هذا النقاشُ المفتوح حول قضيّة المرأة مسألةَ المشاركة السياسيّة، أو ما يسمّى اليوم بـ«التمكين»، ومدى مساهمة المرأة في عمليّة التنمية من خلال هذه المشاركة. وقد ساهمت المؤتمرات الدوليّة منذ بداية التسعينات، وخصوصًا بعد سقوط الاتّحاد

السوفياتيّ، في تشجيع هذه الدعوات إلى نيل المرأة حقوقها، وإلى تغيير أوضاعها وعلاقاتها التقليديّة، بحيث تحوّلت مواثيق هذه المؤتمرات إلى ما يشبه خارطة طريق نحو حقوق المرأة، بغضّ النظر عن المجتمعات التي تعيش فيها النساء. ولتأكيد عالميّة هذه الحقوق تبنّت الأمم المتّحدة المواثيق المتعلّقة بحقوق المرأة، ودعت الدول كافّةً إلى التصديق عليها. لكن رغم ذلك كلّه استمّر النقاش حول هذه القضيّة. وساهم المفكّرون والعلماء في هذا النقاش بين مؤيّد ومعارض أو متحفّظ على تلك الحقوق أو على بعض ما جاء فيها.

لم يكن قادة الرأي والمفكّرون المسلمون خارج هذا النقاش حول قضيّة المرأة وحقوقها وأدوارها. ومن المعلوم أنّ الرأي الإسلاميّ التقليديّ، الذي لا يواجه أيّ اعتراض بين المذاهب، يرى في دور المرأة الأموميّ أولويّةً على ما عداه من أدوار. وقد تراجع التحفّظ على عمل المرأة الذي كان قويًّا في القرن الماضي. كما بات تعليم المرأة ومتابعة هذا التعليم إلى أعلى المستويات خارج النقاش أو الاعتراض في مختلف الأوساط الإسلاميّة. ولم تخلُ مؤلّفات أيّ عالم من علماء المسلمين من كتاب أو مقال أو دراسة عن قضيّة المرأة، لكنّ الأسئلة التي كانت تُثار حول هذه القضيّة لم تكن دائمًا متشابهةً. ففي كلّ عصر كان على هؤلاء العلماء مواجهة أسئلة جديدة لها علاقة بالتطوّرات العلميّة وبالتغيّرات الاجتماعيّة والثقافيّة التي تحصل في المجتمع. وهي في عصرنا الحاليّ تغيّرات متسارعة لا يمكن مقارنتها بما حصل من تغيرات في القرنَين الماضيَين.

الإمام الخامنئي قائد الثورة في إيران كتب وتحدّث بدوره عن هذه القضيّة منذ نحو عشرين عامًا، من خلال تجربة المجتمع الإيرانيّ ودور المرأة الإيرانيّة، ومن خلال رؤيته الإسلاميّة العامّة لهذه القضية. وأهمّيّة

ما قاله الإمام الخامنئي وما كتبه لا تقتصر فقط على الدمج بين الرؤية وبين التجربة في هذه القضيّة، بل وعلى علاقة ما قال وما كتب بالعصر الذي نعيش فيه؛ عصر التحوّلات المتسارعة وعصر الانقلاب على القيم والثوابت الأخلاقيّة، وعصر التأثير القويّ للتكنولوجيا التي تفتح الفضاء الواسع أمام أنواع الثقافات المختلفة.

١. استعادة الهويّة

لا يتردّد الإمام الخامنئي في اتّهام من يثير قضيّة المرأة اليوم بأنّهم لا يعرفون قيمة المرأة، ولا يريدون لها هذه القيمة أو الكرامة. فقد باتت هذه القضيّة، كسواها من القضايا، ألعوبةً في أيدي النفعيّين الذين يتاجرون بكافّة القيم الإنسانيّة في العالم، وفي وسائل الإعلام العالميّة على مرّ السنين، والذين لا يعرفون قيمةً للمرأة ولا للبشريّة ولا للكرامة الإنسانيّة سوى ما يهمّهم من المكاسب المادّيّة[١].

وعلى المرأة بالنسبة إلى الإمام الخامنئي، في مواجهة هؤلاء النفعيّين، «أن تستعيد هويّتها عن طريق التأمّل في المفاهيم الإسلاميّة والمثل الدينيّة، وأن تتسلّح بالأدلّة الموضوعيّة».

يدافع السيّد القائد عن الدور المعنويّ للمرأة، الذي أشار إليه القرآن الكريم ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾[٢]، وعن الدور السياسيّ للمرأة باعتبار بيعتها أمرًا ضروريًّا وحيويًّا، في مقابل التجربة الغربيّة التي بقيت فيها المرأة حتّى العقود الأخيرة لا يحقّ لها إبداء الرأي ولا الانتخاب

---

(١) ذكرى ولادة الصدّيقة الطاهرة السيّدة الزهراء عليها السلام ويوم المرأة، ٢٠ جمادى الثانية ١٤٢١هـ.

(٢) سورة التحريم، الآية ١١.

ولم يكن لها حتّى حقّ الملكيّة، وكان زوجها هو المالك لأموالها، ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ﴾[٣]. ولم يقل رسول الله بأنّ الرجال ينوبون عن النساء في الاختيار، «إنّ قيمة فاطمة الزهراء عليها السلام تكمن في عبوديتها لله، ولولا عبوديتها لما وصفت بالصدّيقة الكبرى»، «إن عبودية الله هي المعيار والميزان».

٢. العائلة رأس الأولويّات

أوجب الإسلام على الرجل المحافظة على المرأة داخل الأسرة كما الوردة: «المرأة ريحانة». ويقول السيّد الخامنئي:

إنّ هذا هو رأي الإسلام الذي حافظ على المميّزات النسويّة للمرأة والتي يقوم على أساسها كلّ ما لديها من مشاعر وإرادات، فلم يخضعها ولم يطلب منها أن تفكّر كالرجل أو تعمل كالرجل أو تكدح كالرجل، أي إنّه حفظ لها خصوصيّتها الأنثويّة. في حين أنّه فتح أمامها شتّى أبواب العلم والمعنويّة والتقوى والسياسة. ولا يحقّ للرجل في داخل الأسرة أن يجبر المرأة أو يضطرّها أو يدفعها للقيام بما ليس من واجبها.

إنّ المجتمع الصغير المكوّن من الرجل والمرأة سيجعل من المرأة، خاصّةً، عرضةً للجور إذا لم تقم عماده في ظلّ مجتمع تسوده القيم والمثل.

ويقول أيضًا:

إنّ دور المرأة في الأسرة يفوق في نظري جميع الأدوار التي يمكن أن تؤدّيها أهمّيّةً. وهذا لا يعني استثناء المرأة من العمل العامّ، بل على العكس إنّ مسؤوليّة إدارة

(٣) سورة الممتحنة، الآية ١٢.

المجتمع الإسلاميّ وتقدّمه تقع على كاهل المرأة والرجل كلّ منهما بحسب طبيعته وإمكانيّاته.

ويقول في موضع آخر:

إنّ السؤال المهمّ هو: هل يحقّ للمرأة التضحية بدورها في المنزل كأمّ وزوجة بسبب المغريات التي قد تتصوّر وجودها خارج نطاق المحيط العائليّ؟ وهل لها الحقّ في ذلك؟ إنّنا نؤكّد على هذا الدور. وإنّ أهمّ دور يمكن أن تقوم به المرأة على مختلف مستوياتها العلميّة والدراسيّة والمعرفيّة هو دورها كأمّ وزوجة، فهذا أهمّ من كلّ أعمالها ونشاطاتها الأخرى؛ لأنّه لا يمكن لأحد غير المرأة القيام به. وليس ضربًا من البطولة أو الفنّ أن تقلّد المرأة الرجل في عمله، فللمرأة عمل نسائيّ يفوق في أهمّيّته كافّة الأعمال الرجاليّة.

يناقش السيّد الخامنئي الفكرة الغربيّة:

إنّهم يقولون: إنّ من العيب أن نقول إنّ المرأة امرأة، وأن الرجل رجل. إنّ للمرأة أن تفخر بأن تكون امرأةً كاملةً وأنثى كاملةً وهي لا تقلّ بأيّ حال عن قيمة الرجل، وهي قد تفوقه في بعض الأحيان فلماذا نتخلّى عن ذلك؟

يعتبرالإمام أنّ ما حلّ بالحضارة الغربيّة من انحدار ودفعها إلى شفا الانهيار هو ما فشا في المحيط النسويّ بعدما جرّوا المرأة إلى الابتذال وأفسدوها حتّى داخل الأسرة، ما أدّى إلى ضعف الكيان الأسريّ. لكنّ قدرتهم الإعلاميّة تقلب الأمور رأسًا على عقب، وبدل أن يدافعوا عن أنفسهم كيف فعلوا ذلك يتحوّلون إلى أصحاب حقوق وإلى مدافعين عن حقوق المرأة، وإن «الاتّجاه الثقافيّ والحضاريّ العامّ في الغرب ليس في صالح المرأة بل ضدّها».

إنّ حركة الدفاع عن المرأة في الغرب غير جدّيّة بالتقليد ولا تستحقّ

أن ينظر إليها بلد إسلاميّ ليستقي منها شيئًا. كانت هذه الحركة حركةً مضطربةً وبعيدةً عن المنطق، وقائمةً على الجهل ومجرّدةً من القيم الإلهيّة والاستناد إلى الفطرة الطبيعيّة لكلا الجنسَين. فلحقت أضرارها في نهاية الأمر بالجميع رجالًا ونساءً، وأكثر ضررها بالنساء[٤].

يشدّد السيّد الخامنئي على الدور الأموميّ:

تكمن الخطيئة الكبرى للحضارة المادّيّة في تضعيف هذا الدور، بل ونسيانه أحيانًا، فحيث تمّ الحديث عن تضعيف الأسرة، فقد تمّ التغافل عن دور هذا النصف المهمّ (المرأة)، وحيثما تمّ الحديث عن عدم الاهتمام بفنّ الأمومة وتربية الذرّيّة في حضن الأمّ العطوف، فقد تمّ تجاهل هذا الدور. ولو أنّ نساءنا قمن برفع مستواهنّ المعرفيّ والعلميّ فسوف لا يمكن مقارنة دورهنّ بأيّ مؤثّر آخر من المؤثّرات الثقافيّة والأخلاقيّة أبدًا.

إنّ العالم الذي ينتزع المرأة من وسط الأسرة ويخرجها من خلال الوعود الزائفة، إنّما يعمل على إضعاف المرأة وتقويض الأسرة وتعريض الأجيال القادمة للخطر. إنّ هذه الكارثة تعدّ من السيول الجارفة التي ستعصف بأسس الحضارة الغربيّة وتقوّض دعائمها.

بإمكان المرأة، بحسب رأيه، «أن تجمع بين أن تكون أمًّا صالحةً وأن تشارك في الأنشطة الاجتماعيّة»[٥].

يفترض السيّد الخامنئي أنّنا يجب أن نكون في الموقع الهجوميّ وليس الدفاعيّ في مواجهة الأفكار الغربيّة عن المرأة. وهو يعتبر «الإسلام والتجربة الإيرانيّة أصحاب دعوى على العالم في ما يتعلّق بقضيّة المرأة».

---

(٤) «دور المرأة في الحياة الإنسانيّة»، لقاء بشعراء ومدّاحي أهل البيت عليهم السلام، مشهد ٢٠٠٥/٧/٢٧.

(٥) «دور المرأة في كيان الأسرة»، في ذكرة ولادة السيّدة الزهراء، طهران ٢٠٠٧/٧/٤.

وأمّا أن تأتي بعض المؤسّسات التابعة للأمم المتّحدة وسواها، أو تأتي بعض التجمّعات الصحافيّة لتثير قضايا حول الحجاب أو ما شابه باسم حقوق الإنسان، فإنّ هذا لن يغيّر من الحقيقة شيئًا.

> نحن الذين نخاطب العالم الغربيّ قائلين: لقد ارتكبتم خيانةً بحقّ البشريّة جمعاء، ولا سيّما المرأة، عن طريق جرّ المرأة والرجل إلى مستنقع الفساد والرذيلة والتشجيع على العلاقات الجنسيّة غير المشروعة وغير القانونيّة.

٣. تعديل الفقه

يتعرّض السيّد الخامنئي إلى قضيّة مهمّة تواجهها بلدان عدّة ومن بينها إيران، هي ما يسمّيه البعض «الانسجام مع المعاهدات الدوليّة تجاه حقوق المرأة»؛ والمقصود بالنسبة إلى هؤلاء تغيير القوانين لكي تنسجم مع هذه المعاهدات، أو تعديل الأحكام الفقهيّة لتكون أكثر انسجامًا مع متطلّبات المؤتمرات والمواثيق الدوليّة عن المرأة. وقد تأثّرت هيئات ومنظّمات كثيرة بهذه الدعوات، ومن بينها هيئات إسلاميّة نسائيّة، بحيث باتت هذه الأخيرة تدعو بدورها إلى مثل هذه التعديلات لتكون النظرة الإسلاميّة أكثر عصريّةً تجاه قضيّة المرأة.

يحدّد السيّد الخامنئي شروط التعامل مع هذه الدعوات بقوله:

> إنّنا لا ندّعي أنّ فقهنا يشتمل على كامل ما يتعلّق بالمرأة من أحكام. فمن الممكن أن يأتي فقيه بارع ويحكم بتغيير أحد الأحكام الفقهيّة المتعلّقة بالمرأة طبقًا لما قام به من تحقيق واجتهاد، وهذا لا غبار عليه. ولكنّ شرط ذلك أن يصدر عن فقيه بارع متبحّر في أصول الفقه، لا أن يعتمد أحدهم على ذوقه الشخصيّ انسجامًا مع إحدى المعاهدات الدوليّة أو توافقًا مع أحد المحافل العالميّة التي تتناقض

أراؤها واتّجاهاتها من الناحية الفكريّة مع آراء الذين يعيشون على أرض إسلاميّة، ويعتقدون بالأصول والقواعد الإسلاميّة، ثمّ يأخذ من أحكام الإسلام ما يريد ويترك ما لا يريد بلا تعمّق أو رويّة، فهذا خطأ فادح ولا يمكن الدفاع عنه؛ لأنّ ما جاء في الأحكام الإسلاميّة والفقه الإسلاميّ مطابقًا للمصلحة فهو المعوّل عليه، وهو الصحيح. وعلى الناشطين في قضايا المرأة ممّن يعرفون موارد الخلل أن لا يفكّروا بأن سبيل التغلّب على هذه الموارد هو التصرّف في أحكام الفقه الإسلاميّ. وليس صحيحًا أن نعالج الأمور بما يتماشى مع ما يصدر من قرارات ومعاهدات في بعض المجامع والمحافل الدوليّة.

يؤكّد السيّد الخامنئي، من خلال رؤيته الإسلاميّة الشاملة، في معظم اللقاءات التي عقدها مع ممثّلي الجمعيات النسائيّة في المناسبات المختلفة على ما يعتبره أولويّة في التعامل مع قضيّة المرأة في هذا العصر من خلال:

- استعادة الهويّة.
- أولويّة الدور الأموميّ.
- عدم الاعتراض على أدوار المرأة السياسيّة والاجتماعيّة.
- عدم الثقة بدعوات الغرب إلى تحرير المرأة.
- المحافظة على الثوابت الإسلاميّة في أيّ تعديل للأحكام تجاه حقوق المرأة.

الهويّة الإنسانيّة للمرأة في رؤى الإمام الخامنئي

د. سعاد الحكيم

يضع العالم الغربيّ قضايا المرأة في سياق حقوقيّ، على حين يصرّ قادة المجتمعات الإسلاميّة على وضع قضاياها في سياق إنسانيّ لا حقوقيّ. وقد نتج عن ذلك أنّ الخطاب الغربيّ حول المرأة يكاد يتمحور في معظمه حول المساواة والحرّيّات، وفي المقابل يصبّ الخطاب الإسلاميّ في إطار الصراع على الهويّة الإنسانيّة.

وانطلاقًا من هذا الاختلاف في الطرح بين الغرب والمسلمين لمسألة قضايا المرأة، أرى أنّنا بحاجة لإنتاج معرفة جديدة أصيلة، لا لنواجه بها الآخر وندافع عن أنفسنا، وإنّما من أجل أنفسنا وذواتنا، من أجل أن نعرف، وأن تطمئنّ قلوبنا إلى ما وقر في قلوبنا من تسليم.

وقد حاولت، عند قراءتي لأقوال الإمام الخامنئي وخطاباته وتوجيهاته وفتاواه، أن ألتزم بما أسلفت، فأنتج معرفة جديدة أصيلة - في حدود المتاح في هذه المداخلة - حول المرأة وهويّتها الإنسانيّة عنده.

ولا يفوتني هنا - كواحدة من أهل السنّة - أن أعبّر عن تثميني للفتاوى[1] التي أصدرها مؤخّرًا حول الموقف من الصحابة ومن أمّهات

---

(١) في إطار توحيد جهود المسلمين، وبناءً على استفتاء وجّهه علماء ومثقّفي الإحساء، أكّد الإمام الخامنئي على حرمة النيل واتّهام زوج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بما يخلّ بشرفها، وهنا الاستفتاء وجواب الإمام:
«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تمرّ الأمّة الإسلاميّة بأزمة منهج يؤدّي إلى إثارة الفتن بين أبناء المذاهب الإسلاميّة، وعدم رعاية الأولويّات لوحدة صفّ المسلمين، ممّا يكون منشأً لفتن داخليّة وتشتيت الجهد الإسلاميّ في المسائل الحسّاسة والمصيريّة، ويؤدّي إلى صرف النظر عن الإنجازات

المؤمنين. وأقول، إنّ أمثال هذه الفتاوى - إن انتقلت من اللغة إلى الممارسة - تستطيع رفع السدّ من بين المسلمين، والسموّ بالحوار، وكسر العتبات الحمر. فالوضع العالميّ للمسلمين اليوم يُلجئ الجميع إلى اللوذ بالإسلام المحمّديّ الأساسيّ، وترك أسباب الفرقة ومسبّبات الفراق.

وقد قسّمت ورقتي إلى قسمين كبيرين: الأوّل فيهما أوسع من الثاني، ويبحث في تجلّيات المرأة عند الإمام الخامنئي. والثاني يهدف إلى استنباط مقوّمات الهويّة الإنسانيّة للمرأة من خلال الكشف عن المشترك الإنسانيّ المتجسّد في تجلّياتها.

القسم الأوّل: تجلّيات المرأة عند الإمام الخامنئي

قادني الحفر العميق في نصوص الإمام الخامنئي إلى الكشف عن تجلّيات

التي تحقّقت على يد أبناء الأمّة الإسلاميّة في فلسطين ولبنان والعراق وتركيا وإيران والدول الإسلاميّة، ومن إفرازات هذا المنهج المتطرّف طرح ما يوجب الإساءة إلى رموز ومقدّسات أتباع الطائفة السنّيّة الكريمة بصورة متعمّدة ومكرّرة. فما هو رأي سماحتكم في ما يُطرح في بعض وسائل الإعلام من فضائيّات وإنترنت من قبل بعض المنتسبين إلى العلم من إهانة صريحة وتحقير بكلمات بذيئة ومسيئة لزوج الرسول صلّى الله عليه وآله أمّ المؤمنين السيّدة عائشة واتّهامها بما يخلّ بالشرف والكرامة لأزواج النبيّ أمّهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهنّ.

لذا نرجو من سماحتكم التكرّم ببيان الموقف الشرعيّ بوضوح لما سبّبته الإثارات المسيئة من اضطراب وسط المجتمع الإسلاميّ وخلق حالة من التوتّر النفسيّ بين المسلمين من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وسائر المسلمين من المذاهب الإسلاميّة، علمًا أنّ هذه الإساءات استُغلّت وبصورة منهجيّة من بعض المغرضين ومثيري الفتن في بعض الفضائيّات والإنترنت لتشويش وإرباك الساحة الإسلاميّة وإثارة الفتنة بين المسلمين. ختامًا دمتم عزًّا وذخرًا للإسلام والمسلمين.

التوقيع: جمع من علماء ومثقّفي الأحساء، ٤ / شوال / ١٤٣١هـ».

جواب الإمام الخامنئي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: يحرم النيل من رموز إخواننا السنّة فضلًا عن اتّهام زوج النبي صلّى الله عليه وآله بما يخلّ بشرفها بل هذا الأمر ممتنع على نساء الأنبياء وخصوصًا سيّدهم الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله. موفّقين لكلّ خير».

http://www. icislam.com

أربعة للمرأة عنده، ثمّ في مرحلة ثانية اعتمدتُ هذه التجلّيات بمثابة مادّة حيّة متجسّدة تدلّني على مقوّمات هويّة المرأة ككائن إنسانيّ.

أمّا التجلّيات الأربعة للمرأة فهي:

١. المرأة المقدّسة.

٢. المرأة العظيمة؛ وهي أمّ الشهيد أو زوج الشهيد.

٣. المرأة الشريكة، في المجتمع والحياة.

٤. المرأة الفعّالة في التاريخ.

وفيما يأتي سوف أبرهن على الوجود الواقعيّ - لا النظريّ - لهذه الصور الأربعة للمرأة دون إسهاب في الشرح، بل على صيغة إشارات مكثّفة.

١. المرأة المقدّسة

تنفرد فئة قليلة من النساء - عبر التاريخ - بالتجلّي بالهويّة الإنسانيّة للمرأة، في أبهى صورها وأسماها، وأكثرها إشراقًا واكتمالًا. بحيث تصبح الواحدة من هؤلاء النسوة في «مقام القدوة» للناس، وليس للنساء فقط.

ومن الهامات العالية في النساء يذكر القرآن الكريم السيّدة مريم بنت عمران، والسيّدة آسيا امرأة فرعون، ويضعهما في «مقام المَثَل المضروب» للمؤمنين جميعًا، ذكرًا وأنثى. فالأولى اصطفاها ربّها وطهّرها وفضّلها

على نساء زمانها بحمل كلمة الله عيسى بن مريم عليه سلام الله؛ والثانية آمنت مع موسى عليه السلام حتّى الشهادة، وتحدّت فرعون وزهدت في ملكه وآثرت على قصوره بيتًا في الجنّة(٢).

ويخبر الصادق الأمين عليه صلوات الله عن أربعة من النساء كاملات هنّ مريم بنت عمران، وآسيا امرأة فرعون، والسيّدة الطاهرة خديجة، والسيّدة فاطمة الزهراء، لتبرز أسماءً لامعةً في سماء الطهر وطيب الشمائل. يذكر الإمام الخامنئي بعضًا منهنّ في صدر الإسلام خاصّةً، إلّا أنّهنّ لا يرقَين إلى رتبة الكمال النسويّ المتفرّد الذي يجعل كلّ واحدة منهنّ قدوةً إنسانيّةً تنجذب النفوس المتطهّرة لتقليدها والالتحام بها بتلقائيّة فطريّة.

---

(٢) انظر في هذا الإطار، الإمام الخامنئي، **مكانة المرأة في الإسلام** (مركز منارة الإمام المهدي)، الصفحتان ١١ و١٢.

يقول الإمام الخامنئي:

الله سبحانه وتعالى يذكر نموذجين من النساء بصفتها رمزًا للإنسان المؤمن لا رمزًا للمرأة المؤمنة، يعني الله تعالى عندما أراد أن يذكر نموذجًا لا مثيل له أو يندر مثيله بين بني الإنسان ومثلًا لأعلى درجات الإنسانيّة والتكامل المعنويّ لم يذكره من العظماء ولا من الشخصيّات العلميّة والدينيّة والأنبياء عليهم السلام بل ذكره من النساء، حيث ذكر امرأتين كنموذج حيّ للإنسانيّة والتكامل المعنويّ، إحداهما امرأة فرعون: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [سورة التحريم، الآية ١١]. هذه المرأة هي التي كافحت هذه القدرة المتغطرسة الطاغوتيّة المتمثّلة بزوجها، هذه المرأة التي لم تخضع لظلم زوجها المقتدر الذي طغى بظلمه وعمله. إنّ عظمة هذه المرأة تتجلّى في أنّ زوجها لم يستطع أن يفرض عليها طريق الضلال وهي في بيته مع أنّ عظمته وقدرته الواسعة استطاعت أن تسيطر وتهيمن على ملايين الرجال وجعلتهم رهن إرادته، بل عاشت هذه المرأة حرّةً وآمنت بالله وتركت طريق فرعون وطرق الضلال واختارت الطريق الإلهيّ القويم، لذا ذكرها القرآن الكريم نموذجًا بارزًا لا مثيل له أو ندرًا ليس لبني جنسها فقط بل للبشريّة جمعاء رجالًا ونساءً. المرأة الأخرى التي ذكرها القرآن الكريم هي مريم بنت عمران عليه السلام وأمّ عيسى عليه السلام: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [سورة التحريم، الآية ١٢]. هذه المرأة التي وقفت كالجبل الأشمّ أمام كلّ الظنون السيّئة والتهم التي توجّهت إليها من قبل سكان مدينتها ومنطقتها وأخذت بيدها روح الله وكلمته، هذه الآية العظمى التي زرعها الله تعالى في نطفتها الطاهرة بقدرته وإرادته لتشقّ بها الظلام الذي كان مهيمنًا على العالم في ذلك الزمان. فهاتان المرأتان قد ملأتا الدنيا بنورهما وضيائهما، فكانتا النموذج الكامل للإنسان المثالي. ولم ينتخب رجلين ولا رجل وامرأة ولا بدّ أن يكون لهذا الانتخاب سرّ خفيّ.

ومن بين نجمات الهدى اللوامع الأربع - التي ذكرناها - اختار التقليد الشيعيّ واحدةً، لتكون رمزًا للتّحقّق النسويّ الكامل من الوجوه كلّها، وهي السيّدة الزهراء سيّدة نساء العالمين. وكما أستنبط من النصوص، فإنّ اختيار التقليد الشيعيّ للسيّدة الزهراء لا يعني أنّها تزيد في درجة الكمال ورتبته عن الثلاث المذكورات، ولكن بسبب زيادة دورها الوجوديّ لديهم، في الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة.

وأرصد فيما يأتي تسعة ملامح لصور السيّدة الزهراء كما تبديها نصوص الإمام الخامنئي، أوردها على شكل لمعات، لا لضيق المقام فقط، ولكن لأنّني أكتب لقوم يفهمون الإشارات في هذا المقام.

الملمح الأول: السيّدة الزهراء هي الكوثر المُعطى لرسول الله صلّى الله عليه وآله، إنّها كوثر الذرّيّة والنسل المبارك وكوثر النور والمعرفة معًا. إنّها كوثر ماديّ ومعنويّ، مبدأ النماء واستمرار النبوّة - بمعنى الوحي العرفانيّ غير التشريعيّ - في الأئمّة المعصومين.

إذًا، كيف يكون أبتر من أنجب الزهراء عليها السلام؟ ويفسّر الخامنئي لفظ «الكوثر» بأنّه تلك الحقيقة العظيمة والكثيرة والمتزايدة، وأنّها تصدق على أشياء مختلفة، وأحد أبرز المصاديق هو الوجود المقدّس لفاطمة الزهراء التي جعلها الله سبحانه خلقًا ماديًّا ومعنويًّا للرسول صلّى الله عليه وآله[٣].

الملمح الثاني: ولادة الزهراء هو يوم عيد، وليس أيّ عيد، إنّه العيد الأغرّ، العيد الكبير، أبرز الأعياد الإسلاميّة[٤]. وبهذا، يصبح العشرون من جُمادى الثاني مناسبةً لاستحضار صور كمالها، وتجديد العهود،

---

(٣) الإمام الخامنئي، خطبتا صلاة الجمعة، طهران في ١/١٠/١٩٩٩.

(٤) انظر في مقدّمات خطب الإمام الخامنئي في معظم الاحتفالات بمولد السيّدة الزهراء.

ودفع النساء والرجال في درب العيش معها.

الملمح الثالث: الزهراء هي صاحبة عناية وألطاف ملكوتيّة، ينتفع من يتوسّل بها إلى الله سبحانه. يقول الإمام في هذا السياق: «ندعو الله تعالى أن يبارك لكم هذا العيد السعيد، وأن تشملكم جميعًا العناية الإلهيّة والألطاف الملكوتيّة لسيّدة نساء العالمين»[٥].

وفي موضع آخر يقول: «علينا أن نشكر الله على توسّلنا بعنايتها»[٦]، ويُظهر الحاجة إلى الزهراء عليها السلام بقوله: «نحن بحاجة إلى تلك العظيمة، هذه الشمس المتلألئة الساطعة (الزهراء) تعمّ بفائدتها جميع الموجودات في العالم، ويسقط شعاع منها في بيوتنا»[٧].

الملمح الرابع: الزهراء هي سيّدة نساء العالمين. وهذا يعني أنّها السيّدة الأولى ليس للمسلمين فقط وإنّما للجنس البشريّ بأكمله. وسيادتها معنويّة لا ماديّة. يقول في وصفها الإمام: «إنّها لمعجزة الإسلام... وفاقت جميع النساء عظمةً وقدسيّةً في تاريخ الإنسانيّة»[٨]. ويكمل: «تمتلك قوّةً باطنيّةً عميقةً جعلتها محيطًا لا حدود له من المعرفة والعبوديّة والقداسة والكمال المعنويّ»[٩]. ويقول في سياق آخر: «كلّ نساء العالم من أوّله إلى آخره تبدو أمامها كالخدم أو كالذرّات في مقابل الشمس الساطعة»[١٠].

---

(٥) انظر كلمات الإمام الخامنئي في ذكرى ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام.

(٦) الإمام الخامنئي، كلمته في شعراء ومدّاحي أهل البيت عليهم السلام في ذكرى ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام، طهران في ٢٠١١/١١/٤

(٧) الإمام الخامنئي، كلمته في شعراء ومدّاحي أهل البيت عليهم السلام، في ذكرى ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام، طهران في ٢٠٠٧/٨/٧.

(٨) الإمام الخامنئي، كلمته في شعراء ومدّاحي أهل البيت عليهم السلام، في ذكرى ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام، طهران في ٢٠٠٧/٧/٥.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) الإمام الخامنئي، جهاز أفضل زوجة في العالم، http://www.alwelayah.net.

الملمح الخامس: الزهراء هي العبد الكامل لله سبحانه. إنّها «روحٌ خالصةٌ»، و«غير قابلة للإدراك»[١١]، «جعل الله طينتها طينةً متعالية»[١٢]. ذاتها أوسع من حدقة الرؤية، ولا يمكن حبسها في كلمات اللغة، ولا يقترب عقل من تصوّر عظمتها. يقول الإمام: «إنّ الإنسان العاديّ مثلنا لا يمكنه أن يتصوّر في ذهنه هذه العظمة والدرجة»[١٣]. ويُظهر عجز اللغة بالقول: «وحتّى لو استطاع شخصٌ إدراك ذلك، فإنّه لا يستطيع وصفها وبيانها كما هو حقّها»[١٤]. إذًا لم يبقَ إلّا الفنّ كمجال حيويّ لاستحضار عظمتها.

الملمح السادس: الزهراء هي الجوهرة المختارة، لتشكيل هويّة المسلم على صورتها ومثالها. بسيطة في ملبسها، ومأكلها، ومسكنها، وحياتها عامّةً، وفي الوقت نفسه عظيمة في معناها، جبلٌ من المعرفة[١٥].

---

(١١) وردت العبارة عند الإمام الخامنئي في كتاب **الخطوط العامّة من سيرة الأئمّة (ع)**، الصفحة ٤٢، على الشكل التالي: «إنّ كلّ ما نقوله حول الزهراء صلوة الله عليها قليل، وفي الحقيقة إنّنا لا نعلم ما يجب قوله في الزهراء صلوة الله عليها وما يجب التفكير فيه، فالأبعاد الوجوديّة لهذه الحوراء الإنسيّة والروح الخالصة وخلاصة النبوّة والولاية، واسعة ولا متناهية وغير قابلة للإدراك وهي بصورة بحيث يتحيّر الإنسان فيها».

(١٢) المصدر نفسه، الصفحة ٤٣.

(١٣) كلمة للإمام الخامنئي في جموع من طالبات المراكز والجامعات الثقافيّة والسياسيّة وأسر الشهداء في ذكرى مولد الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، طهران في ٢١ جمادى الثانية ١٤١٣ هـ.

(١٤) المصدر نفسه.

(١٥) يقول الإمام الخامنئي:
حول مقام الصدّيقة الطاهرة سلام الله عليها لا تعيننا ألسنتنا و أقوالنا على البيان. شيء لا يمكن أن يوصف. وصفه أرقى من حدود قوالبنا البيانيّة العاديّة. ولكن بلغة الفنّ يتسنّى تقريب الأذهان إلى حدّ ما. لذلك أؤكّد دائمًا على المدح و الشعر والأناشيد الإسلاميّة. بأجنحة الفنّ يمكن تقريب الذهن بدرجة معيّنة، غير أنّه من المتعذّر بلوغ حقيقة هؤلاء في مقام الوصف. طبعًا، الذين يطهّرون قلوبهم وأعمالهم، و ينزّهون أجسامهم وأرواحهم، و ينهجون نهج التقوى والورع والطهارة ويربّون أنفسهم، و ينأون بها بعض الشيء عن الأدران التي نعاني منها أنا وأمثالي، ستستطيع أعينهم أن ترى، إلّا أنّهم لن يتمكنوا أيضًا من الوصف، لكنّ قلوبهم الطاهرة و أعين أفئدتهم البصيرة تستطيع ضمن حدود معيّنة أن ترى الأنوار القدسيّة لأهل البيت و منهم الصديقة الكبرى سلام الله عليها، و يمكنهم أن يدركوا مقامهم. لدينا شواهد على ذلك. من هذه

الملمح السابع: الزهراء سيّدة معصومة. يقول عنها الإمام: «إنّها بالتالي معصومة. ليست بحسب المسؤوليّة رسولًا، ولا هي بحسب المسؤوليّة الرسميّة إمامًا أو خليفة للرسول صلّى الله عليه وآله، لكنّها من حيث المرتبة في مستوى الرسول والإمام»[16].

الملمح الثامن: الزهراء سيّدة محدّثة، تتنزّل عليها الملائكة وتأنس معها وتحدّثها، فعلمها لدنيّ لا كسبيّ. ويروي الخامنئي[17] عن الإمام الصادق

الشواهد القول المرويّ عن الرسول الأكرم: «فداها أبوها». ومن الشواهد ما روي أنّ فاطمة الزهراء سلام الله عليها حين كانت تدخل بيت النبي، أو حين كانت تدخل على الرسول حيث يجلس «قام إليها»، كان الرسول يقوم أمامها ويسير إليها. هذه عظمة. أنْ ينظر العالم الإسلاميّ كافّةً منذ ذلك اليوم وإلى اليوم – شيعةً وسنّةً دون استثناء – لتلك السيّدة الكبيرة بعين العظمة والجلالة، فهذا أيضًا من تلك الشواهد والعلامات. من غير الممكن أن يتّفق جميع العقلاء، والعلماء، والمفكّرون من شتّى النحل والعقائد المختلفة طوال تاريخ أمّة أو شعب من الشعوب على مدح وإجلال شخصيّة معيّنة. ما هذا إلّا بسبب عظمة لا توصف تتمتّع بها تلك الشخصيّة، وهذا بحدّ ذاته مؤشّر ودليل. كلّ هذه العظمة خاصّة بسيّدة في الثامنة عشرة، فتاة شابّة! أكبر سنّ ذكر لفاطمة الزهراء سلام الله عليها في مختلف التواريخ هو ما بين الثامنة عشرة إلى الثانية والعشرين. التكريم الذي كان يخصّها به أميرالمؤمنين والتكريم الوارد في روايات وأحاديث جميع الأئمّة عليهم السلام بحقّ فاطمة الزهراء سلام الله عليها، يشير للإنسان أيّة عظمة وانبهار يتموّج في كلمات الأئمّة حول فاطمة الزهراء. كلّ واحد من الأئمّة شطّ صخّاب يروي وينمّي مناخات المعرفة والمواهب الإنسانيّة، وكلّ هذه الجداول تنبع من تلك العين، عين فاطمة الزهراء الدفّاقة سلام الله عليها. روايات الصادقين عليهما السلام وعظمة الإمام الرضا وموسى بن جعفر والأئمّة التالين، والمقام الشامخ لسيّدنا بقيّة الله أرواحنا فداه، كلّها جداول ذلك الكوثر، ذلك الكوثر الخالد، ذلك الينبوع المتدفّق. هذه هي بركات فاطمة الزهراء. نريد أن نقدّم هذه السيّدة الجليلة كنموذج يعيش بيننا. إمرأة شابّة، فتاة شابّة كانت حياتها حياةً عاديّةً، وثيابها ثياب الفقراء، وعملها في المنزل رعاية الأطفال وإدارة البيت وأن تكون ربّة هذا البيت الصغير وتطحن بالرحى، بينما يشمخ في داخلها جبل من المعرفة وبحر من العلم عظيم.

انظر، كلمة للإمام الخامنئي أثناء لقائه مدّاحي أهل البيت عليهم السلام بمناسبة ذكرى ميلاد السيّدة الزهراء عليها السلام، في ٢٠٠٤/٨/٧.

(١٦) الإمام الخامنئي، كلمته في شعراء ومدّاحي أهل البيت عليهم السلام، في ذكرى ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام، طهران في ٢٠١٠/١٢/٢٦.

(١٧) يقول الإمام الخامنئي:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ فاطمة كانت مُحدّثة» أي أنّ الملائكة كانت تنزل عليها وتأنس معها وتحدّثها. وهناك روايات عديدة في هذا المجال. وإنّ كونها محدّثةً لا يختصّ بالشيعة فقط، فالشيعة والسنّة يعتقدون أنّه كان هناك أشخاص في صدر الإسلام – أو

حديثين: الأول: «إنّ فاطمة كانت محدّثة»[18]، والثاني: «إنّ الملائكة كانت تأتي فاطمة الزهراء عليها السلام، وتتحدّث معها، وتقرأ عليها آيات الله». وقد كتب أمير المؤمنين ما أملته الملائكة على فاطمة الزهراء عليها سلام الله، وأصبح هذا كتابًا موجودًا لدى الأئمّة اسمه مصحف فاطمة.

الملمح التاسع: حبّ الزهراء مصدر خلاص، وسبب تقريب من طاعة الله سبحانه. وهنا يضاف البعد الوجدانيّ والعاطفيّ إلى البعد العقليّ في العلاقة بالزهراء الطاهرة. ويولي الإمام الخامنئيّ العناية لوحدة المسلمين فيقول: «ينبغي أن لا يتصوّر أحدٌ أنّ أهل بيت النبيّ صلّى الله عليه وآله هم للشيعة فقط، كلا إنّهم لكلّ العالم الإسلاميّ. مَن ذا الذي يرفض

من الممكن وجودهم - كانت تحدّثهم الملائكة، ومصداق هؤلاء في رواياتنا هي فاطمة الزهراء عليها السلام. وقد ورد في هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام بأنّ الملائكة كانت تأتي فاطمة الزهراء عليها السلام وتتحدّث معها وتقرأ عليها آيات الله. وكما أنّ هناك تعبير في القرآن حول مريم عليه السلام في الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ فإنّ الملائكة كانت تخاطب فاطمة الزهراء عليها السلام وتقول: «يا فاطمة إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين». ثمّ يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذه الرواية بأنّ الملائكة في إحدى الليالي كانت تتحدّث مع فاطمة عليها السلام وكانت تذكر هذه العبارات، فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام لها: «أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم» فقالت الملائكة لفاطمة الزهراء عليها السلام بأنّ مريم كانت المفضّلة على النساء في زمانها وفاطمة مفضّلة على النساء في كلّ الأزمنة من الأوّلين والآخرين. فأيّ مقام معنويّ رفيع هذا؟ إنّ الإنسان العاديّ مثلنا لا يمكنه أن يتصوّر في ذهنه هذه العظمة والدرجة.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام قالت له بأنّ الملائكة تأتي وتتحدّث معها وتقول لها بعض المسائل. فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام بأن تخبره عندما تسمع صوت الملك حتّى يكتب ما تسمع، فكتب أمير المؤمنين ما أملته الملائكة على فاطمة الزهراء عليها السلام وأصبح هذا كتابًا موجودًا لدى الأئمّة عليهم السلام اسمه **مصحف فاطمة أو صحيفة فاطمة**.

انظر، الإمام الخامنئي، كلمة في جموع من طالبات المراكز والجامعات الثقافيّة والسياسيّة وأسر الشهداء في ذكرى مولد الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، طهران في ٢١ جمادى الثانية ١٤١٣ هـ.

(١٨) محمّد باقر الكجوري، **الخصائص الفاطميّة**، تحقيق سيّد علي جمال أشرف، الطبعة ١ (طهران: انتشارات الشريف الرضي، ١٣٨٠ هـ. ش.)، الجزء ١، الصفحة ٢٦١.

فاطمة الزهراء سلام الله عليها؟»[١٩].

بناءً على ما تقدّم، فإنّ السيّدة الزهراء لن تتكرّر بذاتها، ولكنّها ترتفع إلى «مقام القدوة» الذي يغترف من كماله كلّ إنسان بحسب وسع طاقته. والأهمّ من ذلك، لقد فتحت نافذةً نطلّ منها على أنّ المرأة قادرة على تجاوز الجنس لتتجلّى كذات إنسانيّة فيما وراء الذكر والأنثى.

٢. المرأة العظيمة؛ أمّ الشهيد وزوج الشهيد

إنّ الخوف على الولد هو أعمق غريزة في روح المرأة وفي جسدها، والولد هو الأغلى من النفس في قلب الأمّ إن كان سليمًا. ولذا، فإنّ التضحية به - برضاها - في سبيل «هدف مقدّس»، هو أعظم عمل تقوم به المرأة.

وكما الخوف على الولد هو غريزة أموميّة، فهو أيضًا غريزة عائليّة وحياتيّة للزوجة. ولذا فأيّما زوجة تلهم رجلها للخروج إلى الجهاد، وللصمود حتّى النصر، فهي امرأة عظيمة.

وتنحني كلمات الإمام الخامنئي أمام المرأة العظيمة، اعترافًا منه بدورها الكبير في سبيل الحفاظ على وجود المجتمع وشرف الشعب. يقول:

فأمٌّ ضحّت بأبنائها لله، وفي سبيل هدف مقدّس، ولا تبالي لذلك، إنّها امرأة عظيمة حقًّا... وزوجة شابّة تحافظ مع كامل العفّة والطهارة على حرمة زوجها

(١٩) كلمة الإمام الخامنئي في جمع علماء أهل السنّة في محافظة كردستان، http://www.wata.cc.

الأسير لمدّة عشر أو أحد عشر سنة في سجون العدوّ، فهذه هي القيم[٢٠].

وفي سياق آخر يقول:

وأمّا في سنوات الحرب المفروضة، فلولا أمثال هذه الأمّ التي ضحّت بأبنائها الثلاثة، وسواها من أمّهات وزوجات الشهداء - اللاتي كان لي شرف الجلوس والحديث والتعرّف على خصوصيّات الآلاف منهنّ عن قريب -، ولولا ما يتمتّعن به من إيمان وصبر وصلابة ومعرفة، لما وقفن هذا الموقف المحمود أمام خسائر الحرب وتضحيات الشباب والرجال. إنّ أمّهات وزوجات الشهداء لو كنّ قد أظهرن اليأس والامتعاض لما حقّقنا الانتصار في الحرب، ولجفّ شوق الجهاد في سبيل الله، وغاض ينبوع الشهادة في قلوب الرجال[٢١].

وهكذا، فالمرأة العظيمة هي مفتاح مجد المجتمع، ومؤثّرة في مصير البلاد[٢٢]، وصانعة للرجال[٢٣]، ومدرسة تخرّج الشهداء.

وهذه المرأة العظيمة لها مثيلات في صدر الإسلام. نذكّر هنا بمقالة امرأة عظيمة هي الخنساء، التي شهدت مع أولادها الأربعة معركة القادسيّة، سنة ستّ عشرة للهجرة، قالت لهم أوّل الليل:

يا بنيّ إنّكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلّا هو إنّكم لبنو رجل واحد، كما أنّكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجّنت حسبكم، ولا غيّرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من

---

(٢٠) الإمام الخامنئي، كلمة في حشود من الأخوات المؤمنات في ذكرى ولادة زينب الكبرى عليها السلام، طهران في ٥ جمادى الأولى ١٤١٥ هـ.

(٢١) الإمام الخامنئي، هويّة المرأة المسلمة / ذكرى ولادة الصدّيقة الطاهرة عليها السلام.
.http://www.alwelayah.net

(٢٢) انظر، الإمام الخامنئي، دور المرأة في الأسرة (بيروت: مركز الإمام الخميني الثقافيّ)، الصفحة ٤.

(٢٣) انظر، المرأة علم وعمل وجهاد، الطبعة ١ (بيروت: مركز نون للتأليف والترجمة، ٢٠٠٣)، الصفحة ٤٧.

الثواب الجزيل، واعملوا أنّ الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله - عزّ وجلّ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢٤].

فإذا أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوّكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، وإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها، واضطرم لظًى على سياقها، وجلّلت نارًا على أوراقها، فتيمّموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها (جيشها)، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة.

فخرج بنوها قابلين لنصحها، وتقدّموا فقاتلوا وهم يرتجزون، وأبلوا بلاءً حسنًا، واستشهدوا جميعًا. فلمّا بلغها خبرهم، قالت: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم في سبيله، وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقرّ رحمته.

٣. المرأة الشريكة، في المجتمع والحياة

المرأة الشريكة هي نصف المجتمع، أي أنّنا نتكلّم على أكثر من مئة وثلاثين مليونًا من النساء، في إيران وحدها. وهذه المرأة الشريكة هي مدار الصراع بين الجهات العالميّة الكبرى حول الحقوق، وهي مدار التشريعات في العلم والعمل، ومدار التوجيهات نحو الرشد المعنويّ والفكريّ والاجتماعيّ والإنسانيّ.

يحتلّ خطاب الإمام الخامنئي المتعلّق بالمرأة الشريكة معظم مساحات أقواله، فيبدأ بالعلم، ليرى أنّه واجب إسلاميّ على المرأة وليس ترفةً معاصرة. إنّ العلم مطلوب لذاته وليس من أجل العمل أو كسب المال[٢٥]،

---

(٢٤) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

(٢٥) انظر، المرأة علم وعمل وجهاد، مصدر سابق، الصفحتان ١١ و٢٤.

وذلك لأنّ العلم يبرز ويجلي الجوهر الإنسانيّ للمرأة[٢٦]، ويوصل مع الحكمة إلى الرشد الفكريّ والاجتماعيّ. كما يحرّض الإمام المرأة على التعلّم في كافّة الاختصاصات[٢٧]، بل في كلّ مفيد ترغب فيه.

إضافةً إلى العلم، يوجّه الإمام المرأة إلى المطالعة، ويدلّل على أهمّيّة المطالعة في تكوين معرفة ضروريّة بالنفس والعالم[٢٨]. وهذا الأمر يستحقّ منّا التأمّل، لأنّ المطالعة معرفة وثقافة واتّصال بالعالم.

وبعد العلم يأتي موضوع العمل، والمرأة الشريكة هنا هي - بحسب رأي الإمام - طاقة كامنة للمجتمع، وهي خزانة إلهيّة لا يعقل التغاضي عنها وتهميشها[٢٩].

وهنا يميّز الإمام الخامنئي بين مفهومَي: الحقّ والواجب. فالعمل حقّ ثابت للمرأة ولكنّه غير واجب عليها[٣٠]. وينعطف الإمام للكلام في «تقسيم العمل» بين المرأة والرجل[٣١]، ليتحمّل كلّ واحد منهما مسؤوليّته الاجتماعيّة؛ لأنّ عنصرَي الوجود متساويان في المسؤوليّة

---

(٢٦) المصدر نفسه، الصفحة ١٣.

(٢٧) المصدر نفسه، الصفحتان ١٥ و٣٢.

(٢٨) قال الإمام الخامنئي: «عليهم [أي النساء] أن يسمحوا لبناتهم بالدراسة والمطالعة وقراءة الكتب، وأن يطّلعن على المعارف الدينيّة والإنسانيّة، لتقوى أذهانهنّ وعقولهنّ وتنشط. إنّه أمر ضروري جدًّا»؛ انظر، المصدر نفسه، الصفحة ١٤.
وقال: «لا بدّ أن تكون هناك قناعة وإدراك بين النساء أنفسهنّ لضرورة التوجّه نحو اكتساب المعرفة والعلم والمطالعة والوعي والمعلومات والمعارف، وأن يولين ذلك الأهمّيّة»؛ انظر، المصدر نفسه، الصفحة ١١.

(٢٩) المصدر نفسه، الصفحة ١١.

(٣٠) المصدر نفسه، الصفحات ٣٥ إلى ٣٧، «ما هو العمل الأنسب للمرأة»؛ كما يراجع، مكانة المرأة ودورها، مصدر سابق، الصفحة ٢٣ وما بعدها، «دراسة حقوق المرأة على قاعدة التناسب لا التساوي».

(٣١) المصدر نفسه، الصفحة ٢٧.

الاجتماعيّة[٣٢]، فالعمل يتجاوز في مردوده المجال العائليّ ليصبح مردودًا وطنيًا.

وأرجّح أنّ الأوراق التي تتحدّث عن حقوق المرأة في هذه الندوة سيكون مدارها على هذه المرأة الشريكة في بناء الوطن والموجودة في المدارس والمستشفيات والمؤسّسات الحكوميّة والمدنيّة والمجالس القياديّة، وباختصار، الموجودة والتي تعمل - بصمت أو بغير صمت - في كلّ زوايا الحياة وأركانها.

٤. المرأة الفاعلة في التاريخ

من بين هذه الملايين من النساء الشريكات في المجتمع والحياة، تبرز أسماء لامعة - لقلّة من السيّدات - في سياقات متخصّصة، يشكّلن نموذجًا نسويًا حيًا لإمكانيّة تولّد المعاصرة من الأصالة.

وقيمة هذه النماذج النسويّة تكمن في دلالتها على التوق المشروع للمرأة - في كلّ زمان - لمفارقة جموع العامّة، ولتبوّأ مواقع التفرّد، على التوق لأن تصبح ذاتًا إنسانيّةً، تعلو على الذكورة والأنوثة. ويشير الإمام الخامنئي إلى وجود هؤلاء النسوة الفاعلات في التاريخ المعاصر للشعوب، ويذكر اثنتين منهنّ، هما:

---

(٣٢) المصدر نفسه، الصفحتان ٤٢ و٤٣.

بنت الهدى[٣٣]، وبانو أصفهاني[٣٤]، يقول في الأولى:

ففي عصرنا هذا كان لدينا امرأة شابّة شجاعة عالمة مفكّرة فنّانة اسمها بنت الهدى، أخت الشهيد الصدر، وقد استطاعت أن تؤثّر في التاريخ. فعظمة امرأة مثل بنت الهدى لا تقلّ عن عظمة أيّ من الرجال الشجعان والعظماء. لقد كانت حركتها حركةً نسويّةً، وكانت حركة أخيها حركةً رجوليّةً، لكنّ حركتيهما شكّلتا حركةً تكامليّةً تحكي عظمة الشخصيّة، ويتلألأ الجوهر والذات لذينك الإنسانين[٣٥].

وواضح أنّ السيّدة بنت الهدى هي الإنسان والذات التي تقدّم الحركة النسويّة المكمّلة للحركة الرجوليّة. وبكلام آخر، فإنّ الحركة الرجوليّة – ومهما تعاظم فعلها – تظلّ ناقصةً من دون الحركة النسويّة.

ويقول الإمام الخامنئي في الثانية:

---

(٣٣) بنت الهدى: آمنة حيدر الصدر. ولدت في مدينة بغداد، في عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٧م)، في عائلة علميّة متديّنة، والدها أحد كبار علماء الإسلام في العراق الفقيه المحقّق آية الله السيّد حيدر الصدر توفّي عنها وعمرها سنتان، ووالدتها هي الأخرى من عائلة علميّة بارزة، فهي كريمة العلّامة الكبير الشيخ عبد الحسين آل ياسين، وهي أخت المرجع الديني المحقّق الشيخ محمّد رضا آل يس، والتزم أخوا الشهيدة بنت الهدى إسماعيل ومحمّد باقر بتربيتها ورعايتها، حيث تلقّت من العلوم الدينيّة والشؤون الاجتماعيّة والثقافيّة حتّى غدت فيما بعد رائدة العمل الإسلاميّ في العراق. وهي، بالإضافة إلى ذلك، تعتبر من رائدت الفنّ القصصيّ. من أعمالها: كلمة ودعوة، الفضيلة تنتصر، المرأة مع النبي، إمرأتان ورجل، صراع من واقع الحياة، الباحثة عن الحقيقة. أعدمها صدّام حسين في عام ١٩٨٠. محرّر الكتاب.

(٣٤) بانو الأصفهاني (١٣٠٨هـ): عالمة، فاضلة، محدّثة، فقيهة، مجتهدة، حكيمة، عارفة، مفسرّة للقرآن الكريم، مؤلّفة. شهد بفضلها وعلمها مراجع الدين، وكبار العلماء في عصرها. الاسم الصحيح لهذه العلويّة هو «نُصرت»، كما سمّاها بذلك والدها، إلّا أنّها لم تُعرف بهذا الاسم، بل عُرفت بأسماء وألقاب وكنى متعدّدة، أشهرها «أمينة»، «بانو ايراني» – أي سيّدة إيرانيّة –، «أمّ الفضل» أو «أم الفضائل». بدأت وهي في العشرين من عمرها بقراءة المقدّمات الأدبيّة وجانبًا من أوائل الفقه والأصول وأوّليّات العلوم العقليّة وحينما بلغت الأربعين من عمرها، كانت قد استكملت دراستها الإسلاميّة، ووصلت إلى مرحلة عالية تؤهّلها لاستنباط الأحكام الشرعيّة، لها عدد من المؤلفات: الأربعين الهاشميّة والنفحات الرحمانيّة. من صفاتها أيضًا التواضع الكبير ونكران الذات. انظر، http://www2.irib.ir.

(٣٥) المرأة علم وعمل وجهاد، مصدر سابق، الصفحتان ٤١ و٤٢.

فإن كانت في يوم ما امرأة عظيمة الشأن مجتهدة عارفة فقيهة في أصفهان اسمها بانو أصفهاني، فاليوم يوجد الكثير من الفتيات اللواتي سيبلغن في المستقبل القريب المدارج العلميّة والفقهيّة والفلسفيّة العليا، وهذا معنى تقدّم المرأة[٣٦].

إذًا، هؤلاء النسوة البارزات هنّ رائدات يفتحن الدرب أمام جماهير النساء نحو التقدّم الحقيقيّ للمرأة، لا ما يطلق عليه الغرب زيفًا اسم التقدّم.

القسم الثاني: مقوّمات الهويّة الإنسانيّة للمرأة

نتأمّل تجلّيات المرأة الأربعة التي عرضناها، بقصد استنكاه مقوّمات الهويّة الإنسانيّة للمرأة. وبعد التدقيق نتوصّل إلى الكشف عن أربعة مقوّمات لهذه الهويّة.

والواقع أنّ هذه المقوّمات الأربعة هي نفسها مقوّمات الهويّة الإنسانيّة للرجل. وهذا طبيعيّ، لأنّه على صعيد الهويّة الإنسانيّة، نحن أمام جنسين لنوع واحد، أو بلغة المثل المضروب: نحن أمام وجهين لقطعة نقديّة واحدة.

المقوّمة الأولى: المرأة كائن كريم

(٣٦) الإمام الخامنئي، كلمة في حشود من الأخوات المؤمنات في ذكرى ولادة زينب الكبرى عليها السلام، طهران في ٥ جمادى الأولى ١٤١٥ هـ.

ينقل خطاب الإمام الخامنئي الحوار حول المرأة من ميدان الحرّيات إلى ميدان الكرامة الإنسانيّة. فالمرأة عنده ليست كائنًا حرًّا بالمفهوم الغربيّ المعاصر للحرّيّة، أي بمعنى التحرّر من كلّ قيد حتّى قيد العائلة والخلق والعرف. وكما المرأة كذا الرجل، فهو أيضًا ليس حرًّا بالمفهوم الغربيّ للحرّيّة.

وفي مقابل حرّيّة الغرب، يضع الإمام مسألة تكريم الإسلام للمرأة، وكون الكرامة مقوّمًا جوهريًّا للهويّة الإنسانيّة. فالإسلام نصّ على استقلال المرأة - ككائن إنسانيّ - في مالها وفي اسمها، فهي تمتلك كالرجل ولا تتخلّى عن اسمها عند الزواج[٣٧]، ولها حرّيّة اختيار الزوج، ولا تُزوّج الصغيرة إلّا برضاها.

ولن ندخل هنا في جدال حول الكرامة والحرّيّة، وإلى أيّ مدًى يكون الكائن كريمًا إن لم يكن حرًّا، وأيّة حرّيّة نريد.

ولكن نكتفي بالقول: لقد تحوّل كلام الإمام علي كرامة المرأة إلى خطاب أخلاقيّ لا حقوقيّ. فالكرامة مخزونة في العفّة والحجاب[٣٨]، والاختلاط الحكيم الشرعيّ.

وهذا كلّه أمر جيّد ولكنّه جزئيّ. ولذا، حبّذا لو ذهب مع مفهوم الكرامة إلى نهاياته المنطقيّة، ليبرهن للعالم أنّ الإسلام يقوم في جوهره على الرضا لا على القهر، على رضا المرأة ورضا الرجل في كلّ شيء. وهذا الرضا هو المقابل الحقيقيّ للحرّيّة الغربيّة وهو الحارس للكرامة الإنسانيّة.

---

(٣٧) المرأة حقوق وحرّيّة وحجاب، الطبعة ١ (بيروت: مركز نون للتأليف والترجمة، ٢٠٠٣)، الصفحة ٢٢.

(٣٨) انظر، المصدر نفسه، الصفحتان ٥٦ و٥٧.

وهنا، نحتاج إلى الشجاعة وإلى التدبّر لنجعل ما هو فريضةً إنسانيّةً واجتماعيّةً – أو ما نرى أنّه كذلك – مقبولًا من المرأة، وتمارسه برضاها. طبعًا، لقد وجدتُ نصوصًا للإمام الخامنئي تدلّل على رضا المرأة للحجاب، واختيارها للعباءة وأنّ العباءة لم تفرض عليها[٣٩]، وقبولها بالضوابط والحدود في الاختلاط[٤٠]، ولكنّني لم أجد نصوصًا على قبولها بمسائل لا تزال قيد الطرح كتعدّد الزوجات مثلًا. باختصار، كرامة الإنسان في قبوله ورضاه واختياره، وليس في تحرّر متفلّت من ضوابط الدين والخلق.

المقوّمة الثانية: المرأة كائن له خصوصيّة

تظهر التجلّيات الأربعة للمرأة، كما تظهر نصوص الإمام الخامنئي، أنّ المرأة لها طبيعة خاصّة وأنّها ذات خصوصيّة. والكلام عن خصوصيّة المرأة لا يجرح قدرها؛ لأنّه في المقابل يجري الكلام عن خصوصيّة الرجل. فالمرأة والرجل هما عنصرا الوجود الإنسانيّ، ولكلّ منهما خصوصيّاته التي تحدّد أعماله في الحياة ومهامه.

يرى الإمام الخامنئي أنّ المرأة وردة، زهرة، موجود ذو لطافة روحيّة وجسديّة[٤١]، وأنّ الإسلام حافظ على المميّزات النسويّة للمرأة، وحفظ لها خصوصيّتها الأنثويّة[٤٢]، فلم يطالبها بأن تفكّر كالرجل، أو أن تعمل

---

(٣٩) المصدر نفسه.

(٤٠) الإمام الخامنئي، هويّة المرأة المسلمة / ذكرى ولادة الصديقة الطاهرة عليه السلام، http://www.alwelayah.net.

(٤١) الإمام الخامنئي، كلمة في حشود من الأخوات المؤمنات في ذكرى ولادة زينب الكبرى عليها السلام، طهران في ٥ جمادى الأولى ١٤١٥ هـ.

(٤٢) الإمام الخامنئي، هويّة المرأة المسلمة / ذكرى ولادة الصديقة الطاهرة عليه السلام، http://www.alwelayah.net.

كالرجل.

يقول الإمام:

إنّ الهويّة الإسلاميّة هي أن تحافظ المرأة على هويّتها وخصوصيّتها النسائيّة، والتي تعدّ أمرًا طبيعيًا وفطريًا، وحيث إنّ خصوصيّات كلّ جنس تمثّل قيمةً له، أي أنّ عليها أن تحافظ على مشاعرها الرقيقة، وعواطفها الملتهبة، وعطفها، ومحبّتها، ورقّتها، وصفائها، وتألّقها الأنثويّ. وفي نفس الوقت، فإنّ عليها أن تتقدّم وثّابةً في مجالات القيم المعنويّة، كالعلم والعبادة والسلوك في وديان العرفان. كما أنّ عليها أن ترقى في المجالات الاجتماعيّة والسياسيّة والمشاركة السياسيّة والإرادة السياسيّة، ومعرفة مستقبلها واستشراف الأهداف الوطنيّة الكبرى والأهداف الإسلاميّة التي تصبو إليها البلدان والشعوب الإسلامية، ومعرفة العدوّ ومؤامراته وأساليبه. ويجدر بها التقدّم أيضًا على نطاق تحقيق العدل والإنصاف[٤٣].

إذًا، إنّ خصوصيّة المرأة وتركيبتها الجسديّة، وإن فتحت لها مجال أعمال دون أعمال[٤٤]، إلّا أنّها لا تنتقص من هويّتها الإنسانيّة شيئًا. لأنّها تظلّ ذلك الكائن المشارك في الحياة العامّة على مدارج سلّم الوجود كلّه.

المقوّمة الثالثة: المرأة كائن منتج

يشدّد الإمام الخامنئي على البعد الإنتاجيّ في الهويّة الإنسانيّة للمرأة. فالمرأة ليست كائنًا استهلاكيًا بل من واجبها أن تسهم في صناعة المجتمع وتقدّمه، بأن تكون كائنًا منتجًا. والإنتاج لا يعني بالضرورة العمل

(٤٣) المصدر نفسه.

(٤٤) المرأة حقوق وحرّيّة وحجاب، مصدر سابق، الصفحة ٥١. كما يراجع، مكانة المرأة ودورها، مصدر سابق، الصفحة ٢٥.

خارج البيت، فقد تكون المرأة ربّة منزل وهي في الوقت نفسه كائن منتج لا استهلاكيّ. وذلك على صعيد بناء العائلة وتربية الولد وإلهام الزوج، وغير ذلك ممّا تقدّم الكلام عنه في المرأة العظيمة والمرأة الشريكة.

ويلفت الإمام القائد النساء العاملات إلى مسألتين هامّتين في مجال الإنتاج:

١. الأولى، مسألة الوقت النوعيّ لا الكمّيّ. يقول: «فعندما تقلّلن من ساعات الحضور إلى البيت، عليكنّ أن ترفعن كيفيّة حضوركنّ، فسيكون لحضوركنّ المميّز هذا معنًى آخر»[٤٥].

٢. والثانية، هي مسألة علاقة الحقّ بالعمل. فمن يعمل أكثر له حقّ أكثر. يقول الإمام في معرض بيان أنّ حقّ المرأة في الأسرة أكثر من حقّ الرجل: «إنّ للمرأة – في معيار الأسرة وبين الأبناء – حقًّا أعظم من الرجل... لأنّ النساء يتحملنّ العناء والمشاقّ أكثر من الرجال، فهذا هو العدل الإلهيّ، فكلّما كان العناء والمشقّة أكثر كان الحقّ أعظم»[٤٦].

المقوّمة الرابعة: المرأة كائن ملتزم

إنّ الالتزام واحد من المقوّمات الأساسيّة للهويّة الإنسانيّة كما تقدّمها لنا نصوص الإمام الخامنئي. وهذا ينطبق على النساء والرجال. ويتجلّى التزام المرأة في ميدانين هما: الالتزام تبدّى لنا جليًّا في التجلّيات الأربعة

---

(٤٥) دور المرأة في الأسرة، مصدر سابق، الصفحة ١٤.

(٤٦) الإمام الخامنئي، كلمة في حشود من الأخوات المؤمنات في ذكرى ولادة زينب الكبرى عليها السلام، طهران في ٥ جمادى الأولى ١٤١٥ هـ.

للمرأة، بل كان الالتزام من أهمّ مقوّمات شخصيّتها الإنسانيّة.

الخاتمة

نصل إلى ختام كلامنا، لنقول: إنّ المرأة والرجل معًا مدعوّان لصياغة تكوين إنسانيّ يقوم على الكرامة والخصوصيّة والإنتاجيّة والالتزام. وأيّ إنسان - رجل أو امرأة - تخلّى عن واحدة من هذه المقوّمات؛ فإنّه يخسر من هويّته الإسلاميّة، في رؤية الإمام الخامنئي للدين والمجتمع.

وأختم، بأنّ الحلّ هو في تجديد أفكارنا حول الإسلام، هو في الحفاظ على الثوابت وإزاحة غير الصالح للزمان من المتغيّرات، هو بعدم الرجوع إلى الماضي بل باستقدام الماضي إلى الحاضر، لإنتاج الأصالة في المعاصرة. والأهمّ من ذلك كلّه، هو إنتاج ثقافة تبدع مجالًا حرًّا حيويًّا يؤسّس للوحدة لا للتفرقة، ولاكتشاف المشترك الإنسانيّ الذي يضمّنا جميعًا، ويجلي هويّتنا الإنسانيّة الأصيلة في مواجهة التغريب وتحدّيات التنمية.

المرأة في فكر الإمام الخامنئي

أ. أميرة برغل

المقدّمة

تجتاح مجتمعاتنا الإسلاميّة موجات من النقاشات الحادّة حول مواضيع عدّة كانت، إلى عهد قريب، معتبرة من المسلمات.

وعلى رأس هذه المواضيع تلك المتعلّقة بالمرأة: موقعها، دورها، حقوقها، حدود حجابها، جواز اختلاطها بالرجال، عملها في المنزل، عملها خارج المنزل.

وما زال النقاش دائرًا من دون الرسوّ على برّ ثابت من القناعات الواضحة، فلا العودة إلى ما كان مسلّمًا به من قبل (المكوث في المنزل، عدم المشاركة في الحياة العامّة، الطاعة المطلقة للزوج حتّى ولو لم يكن محقًّا، إلخ) أضحى مقبولًا، ولا التوافق على مسلّمات جديدة مُبرئة للذّمة أضحى واضح الحدود والمعالم لدى النساء والرجال معًا.

وقد أدّى ذلك، على أرض الواقع، وحتّى لدى الإسلاميّين، إلى جملة من الظواهر الاجتماعيّة السلبيّة؛ كتأخّر سنّ الزواج، وارتفاع نسب الطلاق، وانصراف الكثير من النساء إلى الأعمال الاجتماعيّة والوظيفيّة على حساب دور الزوجيّة والأمومة، وكثرة الخلافات الزوجيّة والاضطرابات النفسيّة، إلخ؛ ممّا يؤكّد بوضوح وجود أزمة علائقيّة حادّة تهدّد استقرار وديمومة نظام الأسرة الذي يعتبر الحجر الأساس في البناء الاجتماعيّ في الإسلام.

أمام هذا الواقع، كان لا بدّ للإسلاميّين من المهتمّين بالشأن الاجتماعيّ والتربويّ من تكثيف العمل مع المرجعيّات الدينيّة من أجل إيجاد طروحات جديدة تنظّم العلاقات بين المرأة والرجل، داخل الأسرة وخارجها، بالشكل الذي يتوافق مع الحدود الشرعيّة من جهة، ومع التغيّرات التي طرأت على أشكال العيش ومتطلّباتها في ظلّ عصر ما بعد الحداثة من جهة أخرى.

وحيث أنّني أعتبر نفسي واحدةً من المعنيّين بشأن المرأة، عقدت العزم منذ فترة على تفريغ الوقت الكافي لإجراء بحث علميّ حول هذا الموضوع، إلّا أنّني، ولسوء الحظّ، كنت دائمًا كلّما شمّرت عن ساعد الجدّ تطرأ طوارئ تقحمني في نشاطات عمليّة مُلزمة، فيتأجّل العمل البحثيّ من جديد.

إلى أن صادف وطلب منّي سماحة الشيخ شفيق جرادي، الذي أجلّ وأحترم، أن أكتب بحثًا حول المرأة في فكر السيّد القائد حفظه الله، فلم أتردّد في إلزام نفسي بذلك، خاصّةً وأنّ النظر في فكر الإمام الخامنئي يشكّل المدخل السليم والمباشر لبحثي المرجوّ، كونه الوليّ الفقيه العارف بأمور الدين والمطّلع على تفاصيل الواقع في آن.

ولقد اعتمدت في بحثي على مجموع ما توفّر بين يديّ من خطب ومقالات وتلخيصات لأقوال الإمام حول موضوع المرأة، صادرة عن معهد المعارف الحكميّة ومركز الإمام الخميني الثقافيّ والمكتب الدولي للنساء السائرات على خطّ أهل البيت التابع للمجمع العالميّ لأهل البيت.

أمّا المنهج الذي سوف أعتمده، فهو منهج نقليّ تحليليّ لمجموع ما ورد عن سماحته في هذه الخطب والأقوال. كما وسوف أستأنس في تقسيم البحث بالمحاور الثلاث التي دأب الإمام على اعتمادها أثناء

خطبه وهي: «المرأة والمعنويّات»، «المرأة والمجتمع»، «المرأة والأسرة».

وعليه، فسوف يشتمل البحث بعد المقدّمة على فصل أوّل أبيّن فيه منهج الإمام في تناوله لموضوع المرأة، ثمّ في الفصل الثاني سوف أنقل وجهة نظر سماحته حول صلة المرأة بالمعنويّات، وفي الفصل الثالث رأيه حول موقع المرأة في المجتمع، وفي الفصل الرابع والأخير رأيه حول موقع المرأة في الأسرة، ثمّ أنهي البحث بخاتمة أضمّنها خلاصات واقتراحات. راجيةً أن يشكل هذا المجهود المتواضع خطوةً على طريق إماطة اللثام عن بعض من اللبس الحاصل حول موقف الإسلام من المرأة في ظلّ هذا التضارب الكبير في الأفكار والآراء وهذا التناقض الأكبر بين النظريّة والتطبيق.

١. منهج الإمام الخامنئي في مقاربة موضوع المرأة

مقدّمة

يفرض علينا البحث العلميّ أن نتعرّف علي منهج السيّد القائد في تناوله لموضوع المرأة، قبل استعراض آرائه دام ظلّه حول هذا الموضوع.

وقد لا حظت من خلال ما طالعته من كلمات الإمام وخطبه أنّ المنهج الذي يعتمده يرتكز على أسس أربعة يمكننا التعبير عنها بما يلي:

١. الانطلاق في معالجة موضوع المرأة من نظرة شاملة تلحظ حقائق الوجود وخواصّ الموجودات.

٢. الارتكاز في تناول موضوع المرأة على النصّ القرآنيّ والسيرة النبويّة، قولًا وتقريرًا.

٣. احترام الأحكام الشرعيّة والتقيّد بالأصول الفقهيّة للاجتهاد.

٤. الربط بين المنظومة الفقهيّة والمنظومة الأخلاقيّة.

وسوف نتطرّق في هذا الفصل إلى هذه الأسس بالترتيب.

أوّلًا: النظرة الشاملة لحقائق الوجود وخواصّ الموجودات

يرى الإمام الخامنئي أنّ استقرار المجتمع وتماسكه وصلاحه هو الأصل في الإسلام ومن الخطإ دراسة أيّ مكوّن من مكوّنات المجتمع على نحو الاستقلال.

فالمجتمع ليس المرأة وحدها ولا الرجل وحده ولا حتّى كلاهما، بل هو الرجل والمرأة بالإضافة إلى نوعيّة العلاقات بينهما وما يفرزه شكل هذه العلاقات من آثار ونتائج. يقول: «إنّ علينا أن ننظر نظرةً شموليّةً جامعةً لقضيّة المرأة، وهذه النظرة نجدها في الإسلام»[1].

وعليه، فإنّ التطرّق لموضوع المرأة لا يجب أن يَلحظ فقط مكاسب المرأة أو خسائرها كفرد، من تشريع أو قانون ما، بل يجب ملاحظة مكاسب المجتمع كلّه أو خسائره من هذا التشريع أو القانون.

يقول السيّد القائد:

إنّ العالم الذي ينتزع المرأة من وسط الأسرة ويخرجها من خلال الوعود الزائفة، ويجرّدها من أدوات دفاعها تجاه نظرات المجتمع وحركاته المتهتّكة، ويفتح المجال

---

(١) الإمام الخامنئي، من خطبة في حشد غفير من الناشطات في المجالات العلميّة والاجتماعيّة في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، طهران في ١٤٢٨هـ.

للنيل من حقوقها، إنّما يعمل على إضعاف المرأة، وتقويض الأسرة، وتعريض الأجيال القادمة للخطر. إنّ كلّ حضارة وثقافة تحمل هذا المنطق إنّما تعمل على خلق كارثة، وهذا ما عليه العالم حاليًا، وهو في طريقه إلى الاتّساع والازدياد تدريجيًّا، وألفت انتباهكم إلى أنّ هذه الكارثة تعدّ من السيول الجارفة الهدّامة على المدى البعيد، وأنّها ستعصف بأسس الحضارة الغربيّة وتقوّض دعائمها، فلا يبدو شيء في المدى القصير، فإنّ آثار ذلك تظهر على مدى مئة سنة ومئتي سنة، وها هي بوادر هذه الأزمة الأخلاقيّة تطفو على سطح العالم الغربيّ[٢].

كذلك، يدعو سماحته، عند معالجة موضوع المرأة، إلى أن تكون نظرتنا للأمور حكيمةً وعادلةً غير منطلقة من الانفعال أو التقليد، وأن نأخذ بعين الاعتبار طبيعة الحقائق الوجوديّة لكلّ من المرأة والرجل وحاجاتهما، على حدّ سواء.

يقول السيّد القائد:

إنّ أيّ حركة اجتماعيّة ستكون حركةً صحيحةً وتكون نتائجها صحيحةً عندما تكون مبنيّةً على الحكمة والتأمّل والتشخيص والمصلحة وقائمةً على قواعد صحيحة وعقلانيّة؛ أي على معرفة بطبيعة المرأة وفطرتها وطبيعة الرجل وفطرته، والمسؤوليّات والمشاغل الخاصّة بالرجل، وما يمكن أن يكون مشتركًا بينهما، وأن لا تكون الحركة منطلقةً من الانفعال والتقليد[٣].

ويعتبر سماحته: «أنّ مسألة إعطاء قيمة لأصالة المرأة وأنثويّتها، يمثّل قيمةً عليا بالنسبة لها بل يعدّ أصلًا»[٤].

---

(٢) الإمام الخامنئي، من خطبة في حشد من شعراء ومدّاحي أهل البيت عليهم السلام في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، مشهد المقدّسة في ١٤٢٦هـ.

(٣) الإمام الخامنئي، خطبة في جمع غفير من النساء المؤمنات في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، طهران في ١٤١٨هـ.

(٤) الإمام الخامنئي، خطبة في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام موجّهة إلى حشد من النساء

ويرى السيّد القائد أنّ مثل هذه النظرة لم يمتلكها إلّا الإسلام، من حيث كونه دينًا إلهيًّا، فيقول:

ينصبّ اهتمام الإسلام على مبدإ التوازن، أي رعاية مبدإ العدالة التامّة بين أبناء البشر، ومن جملة ذلك التوازن بين الرجل والمرأة. وينصبّ اهتمامه أيضًا على المساواة في الحقوق بيد أنّ الأحكام قد تتفاوت أحيانًا بينهما حسب ما تقتضيه الخصائص المتفاوته في طبيعتها. ووفقًا لما سلف ذكره، يتبيّن أنّ أكثر الحقائق عن الفطرة والطينة البشريّة لكلّ من الرجل والمرأة ملحوظة في الشريعة الإسلاميّة(٥).

ثانيًا: الارتكاز في موضوع المرأة على النصّ القرآنيّ والسيرة النبويّة

يتلمّس بوضوح المطالع لكلمات السيّد القائد ارتكازه، في نظرته إلى المرأة واستدلالاته على مكانتها وقدراتها، على النصّ القرآنيّ وسيرة نساء النبوّة، بخلاف ما اعتاد عليه بعض الكتّاب في حكمهم على المرأة من خلال الواقع الاجتماعيّ المتخلّف الذي عاشت فيه النساء على مرّ العصور.

يقول سماحته:

إنّ المراجع للأصول الإسلاميّة الشرعيّة (القرآن الكريم)، يرى بكلّ تأكيد المنطلقات التحريريّة للنساء وعدم التفريق بين الرجل والمرأة، عدا صور التخصيص القليلة لغرض معيّن. وليس أدلّ على ذلك من الأسلوب القرآنيّ في توحيد الخطاب بصيغة التأنيث والتذكير فيما يتعلّق بالحقوق والتبعات المتعلّقة بجميع فروع

الناشطات، في ٤/٧/٢٠٠٧.

(٥) الإمام الخامنئي، خطبة في جمع غفير من النساء المؤمنات في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، طهران في ١٤١٨هـ.

النشاط البشريّ في حقول الحياة الخاصّة والعامّة، فإنّ الخطاب موجّه فيها دائمًا إلى المرأة وإلى الرجل في صعيد واحد ودونما تفضيل مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[6][7].

ويضيف سماحته: «كما أنّ هناك من الأحاديث النبويّة الشريفة ممّا يدعم ذلك»[8].

ويبدي سماحته تأسّفه من الذين يخلطون بين المقولات التاريخيّة الموروثة والدين فيقول: «والمؤسف أنّ هناك مقولات تنطلق في المجتمع الإسلاميّ دون دراسة كالمقولة التي تقول إنّ النساء نواقص العقول، فيأخذها الناس ويبنون عليها ويتناقلونها وكأنّها مسلّمة دينيّة»[9].

لذا، لا يتحفّظ سماحته عن التصريح بأنّ هناك ظلم كبير لحقّ بالمرأة على مرّ التاريخ، حرمها وحرم المجتمع بأكمله من الاستفادة من الطاقات التي أودعها الله فيها، حيث يقول:

إنّي أعتقد أنّ الظلم قد لحق بالمرأة طوال التاريخ، وفي المجتمعات المختلفة. وقد أشرت إلى ذلك، وتحدّثت عن منشأ ذلك الظلم، إنّه بسبب جهل البشر، فطبيعة البشر الجهل، حيث القويّ يظلم الضعيف[10].

وانطلاقًا من هذه القناعة الراسخة يؤكّد دام ظلّه على وجوب تغيير الجوّ الثقافيّ الذي ولّد مثل هذه الرؤية الظالمة للمرأة، فيقول:

---

(٦) سورة الحجرات، الآية ١٣.
(٧) المرأة: حقوق، وحرّيّة وحجاب، (بيروت: مركز نون للتأليف والترجمة، ٢٠٠٣)، الصفحة ٥١.
(٨) المصدر نفسه، الصفحة ٥١.
(٩) المصدر نفسه.
(١٠) المصدر نفسه.

إنّني اليوم أطرح بحثي هذا بهذه النيّة وهي المساعدة على إيجاد هذا الجوّ الثقافيّ، فإذا أصبح الجوّ الثقافيّ لمجتمعنا شفّافًا في مجال مسائل المرأة، واتّضحت الأحكام الإسلاميّة والآراء القرآنيّة في هذا المجال، فسيتعبّد الطريق أمام نساء بلدنا ليتمكّنَ من الوصول إلى النقطة التي تعتبر هدفًا وغايةً مطلوبةً(١١).

لذا، يتوجّه سماحته إلى النساء داعيًا إيّاهنّ إلى أن يثقن بقدراتهنّ ويبذلن جهودًا إضافيّةً في مجالَي العلم والتعلّم فيقول:

إنّنا نعتقد أنّ النساء في كلّ مجتمع بشريّ سالم قادرات وعليهنّ أن يجدن الفرصة لبذل الجهد والتسابق في مجال التقدّم العلميّ، وهذا ما يجب أن يقتنع به النساء قبل أيّ شخص في المجتمع ليبادرن إلى العلم والتعلّم(١٢).

ثالثًا: احترام الأحكام الشرعيّة والتقيّد بالأصول الفقهيّة للاجتهاد

يؤكّد السيّد القائد على ضرورة مراعاة الأحكام الشرعيّة الثابتة المتعلّقة بالمرأة من قبل مراجعنا العظام. ويحذّر من الانجرار وراء المكائد الغربيّة التي تشكك بالعدالة الإلهيّة في بعض الأحكام وتستغلّ ذوي الاطّلاع السطحيّ والنظرة التجزيئيّة من أجل إيهام المسلمين بأنّ الأحكام الشرعيّة لا تصلح كمرجعيّة في كلّ العصور. فيقول:

أيّتها الأخوات العزيزات، إنّه لا ينبغي على الناشطين في قضايا المرأة ممّن يعرفون موارد الخلل أن يفكّروا بأنّ سبيل التغلّب على هذه الموارد هو التصرّف في أحكام الفقه الإسلاميّ، كلّا، فأحكام الفقه الإسلاميّ التي تمّ استنباطها بعد البحث

---

(١١) الإمام الخامنئي، خطبة في جمع غفير من النساء المؤمنات في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، طهران في ١٤١٨هـ.

(١٢) المرأة علم وعمل وجهاد، مصدر سابق، الصفحة ١٠.

والتحقيق والتي تنسجم مع المبادئ الإسلاميّة تعتبر كلّها صحيحةً ومطابقةً للمصلحة العامّة. فليس صحيحًا أن نعالج الأمور بسطحيّة وخوف وخشية، فنتصرّف ونُغيّر في فكرنا وفقهنا تماشيًا مع ما يصدر من قرارات ومعاهدات في بعض المجامع والمحافل الدوليّة، فهذا يجانب الصواب في تقديري(١٣).

ولكنّه، من جهة أخرى، لا يعتبر بأنّ الأحكام الفقهيّة المستنبطة نهائيّةً أو كافيةً بل قابلةً للزيادة والتعديل. يقول سماحته:

إنّنا لا ندّعي أنّ فقهنا يشتمل على كافّة ما يتعلّق بالمرأة من أحكام، وأنّ هذا هو غاية القول، كلّا، فمن الممكن أن يأتي فقيه بارع ويحكم بتغيير أحد الأحكام الفقهيّة المتعلّقة بالمرأة طبقًا لما قام به من تحقيق واجتهاد، وهذا ما لا غبار عليه، وقد حدث بالفعل(١٤).

فالتعديل في رأيه جائز ومشروع، شرط أن يكون صادرًا عن فقيه مجتهد، وليس استنسابًا وتأثّرًا بثقافات أخرى. يقول سماحته:

وعلى هذا فإنّ الفقه لا يخلو من مثل هذه المسائل التي نقول بأنّها تتغيّر، ولكن أن يكون ذلك صادرًا عن فقيه بارع ومتبحّر في أصول الفقه، يوظّف في استنباطه أدوات الفقه وأساليب الفقاهة الدوليّة أو انتظامًا مع أحد المحافل العالميّة التي تتناقض آراؤها واتّجاهاتها من الناحية الفكريّة مع آراء الذين يعيشون على أرض إسلاميّة ويعتقدون بالأصول والقواعد الإسلاميّة، ثمّ يأخذ من أحكام الإسلام ما يريد ويترك ما لا يريد بلا تعمّق أو رويّة، فهذا خطأ فادح ولا يمكن الدفاع عنه(١٥).

---

(١٣) الإمام الخامنئي، «خطبة في جمعٍ غفير من نساء خوزستان»، نور الولاية (المجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السلام، المكتب الدوليّ للنساء السائرات على خطّ أهل البيت عليهم السلام).

(١٤) الإمام الخامنئي، خطبة في حشد من الناشطات في المجالات العلميّة والاجتماعيّة في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، طهران في ١٤٢٨ هـ.

(١٥) المصدر نفسه.

وأكثر من ذلك، فإنّ سماحته يعترف بحصول تقصير بحثيّ على صعيد المرأة لدى الإسلاميّين، فيقول ردًّا على فعاليّات نسائيّة رفعت إليه شكاوى عن وجود خلل في الأحكام والقوانين المتعلّقة بالمرأة:

> إنّ ما تفضّل به بعض السيّدات في أحاديثهنّ حول الحقوق والقوانين الإسلاميّة كان صحيحًا، والحديث يطول في هذا المجال، وإنّني أوافقهنّ الرأي بأنّنا لم نبذل ما يلزم من جهود كمًّا وكيفًا لمواجهة الإعلام الدعائيّ المضاد بما فيه المتعلّق بالمرأة[١٦].

وعليه، فإنّ سماحة القائد يدعو المراكز الحديثة والفقهاء إلى بذل مزيد من الجهود من أجل استنباط ما يلزم من الأحكام الشرعيّة الكفيلة ببلورة رؤية الإسلام عن المرأة وحقوقها، يقول سماحته: «وإنّني أدعو مراكز البحث والتحقيقات، والجامعات، والحوزات العلميّة، وأصحاب الرأي للمزيد من العمل وأطالبهم بتركيز نشاطاتهم على هذا الموضوع»[١٧]. كما ويدعو النساء خاصّةً بالوعي والإلمام الشامل بنظرة الإسلام عن المرأة حتّى لا يقعوا في فخّ المهاجمين للإسلام من بوّابة المرأة. يقول سماحته: «يجب أن تتمتّع النساء في بلادنا بالوعي الكامل والإلمام الشامل لمسألة المرأة ونظرة الإسلام لها، لتستطيع أن تدافع عن حقوقها بالاتّكاء والاعتماد على هذه النظرة السامية الرفعيّة للمرأة»[١٨].

---

(١٦) الإمام الخامنئي، خطبة في حشد غفير من النساء النخبة والناشطات في المجالات العلميّة والاجتماعيّة في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، طهران في ١٣٨٦ هـ.

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) الإمام الخامنئي، خطبة في جمع غفير من النساء المؤمنات في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، طهران في ١٤١٨هـ.

رابعًا: الربط بين المنظومة الفقهيّة والمنظومة الأخلاقيّة

ممّا يتميّز به منهج الإمام الخامنئي في تناوله لموضوع المرأة هو عدم التفكيك بين الأحكام الفقهيّة وجذورها الأخلاقيّة. وهو المنهج الكفيل بحلّ الكثير من المعضلات التي لا تجد لها حلولًا في ظلّ النظرة التفكيكيّة التي تتعاطى مع كلّ حكم فقهيّ على حدة، غير ناظرة إلى علاقته ببقيّة الأحكام الأخرى، ولا إلى جذوره الأخلاقيّة التي من أجلها بُعث خاتم الرسل صلّى الله عليه وآله كما ورد في الحديث الشريف: «إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[١٩].

مثال على ذلك عندما يتحدّث سماحته عن الحجاب لا يتحدّث عن حدوده الشكليّة بقدر ما يتحدّث عن هدفه الأخلاقيّ وهو العفّة، إذ ما قيمة الحجاب إن لم يقترن بالحياء والعفّة؟

وعندما يتحدّث عن جواز مشاركة المرأة في المسؤوليّات الاجتماعيّة المختلفة يذكّر بضرورة مراعاة حدود الحجاب والاختلاط حتّى يحقّق خروج المرأة هدفه القِيميّ والإنسانيّ، وكذلك بضرورة مراعاة حكم أخذ إذن الزوج حفاظًا على قيمة الأسرة.

ومن ثمار تطبيق هذا الأساس المنهجيّ للإمام الخامنئي على موضوع المرأة استنكاره ممارسة بعض الأزواج حقّ القوامة بطريقة تعسّفيّة من دون الالتفات إلى حقّ الزوجة الأخلاقيّ في حسن المعاشرة ووقوعهم بذلك في الظلم المحقّق. يقول الإمام:

الطبيعة التي أودعت في الرجل والمرأة – في ظلّ الجوّ الأُسريّ – توجب قيام علاقة

(١٩) داود بن سليمان الغازي، مسند الرضا عليه السلام، تحقيق محمّد جواد الحسيني الجلالي، الطبعة ١ (طهران: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤١٨ هـ)، الصفحة ٣٨.

محبّة ومودّة فيما بينهما. بيد أنّ هذه العلاقة إذا ما طالها التغيير، كأن يتصرّف الرجل في البيت وكأنّه المالك. أو أن ينظر إلى المرأة بعين الاستغلال والاستخدام فهذا ظلم[٢٠].

ثمّ يضيف مُعقّبًا: «وممّا يؤسف أنّ الكثيرين يمارسون هذا الظلم»[٢١]. ومن ثماره أيضًا استنكاره تغافل بعض الرجال عن حقّ المرأة كإنسانة في المشاركة بفعاليّة في الشأن العامّ وفي تطوير كفاءاتها. فيقول:

وهكذا الحال أيضًا خارج إطار الأسرة. فإذا لم تتوفّر للمرأة أسباب الأمن للدراسة وللعمل وللكسب أحيانًا، وللاستراحة، فهذا ظلم يجب أن يتصدّى القانون والمجتمع الإسلاميّ لكلّ من يقترفه. وإذا لم يُسمح للمرأة بالتعلّم والحصول على التربية السليمة، فهذا أيضًا ظلم. وإذا كانت الظروف بشكل لا يتيح لها، بسبب كثرة الأعمال والمشاغل، الاهتمام بشؤون دينها وتهذيب أخلاقها، فهذا ظلم[٢٢].

وانسجامًا مع ما يفرضه واجب إحقاق الحقوق يقول سماحته:

لا بدّ من انبثاق حركة في المجتمع الإسلاميّ وفي مجتمعنا لإحقاق حقوق المرأة، ولكن بشرط أن تقوم على أساس إسلاميّ ولأهداف إسلاميّة. بيد أنّ البعض قد ينبري للقول؛ وما الداعي لمثل هذه الحركة؟ وما الذي تعوزه المرأة في مجتمعنا؟ من المؤسف أنّ البعض يفكّر بهذا النمط، وهذه نظرة سطحيّة؛ فالمرأة في كلّ المجتمعات - ومنها مجتمعنا - تعاني من الظلم ومن نواقص تفرض عليها. ولا نعني من النقص الذي نرفضه، هو ما يعنيه الغربيّون، بل المقصود به قلّة ميادين وفرص التعلّم والمعرفة، والتربية والأخلاق، والتقدّم وتفتّح الطاقات. وهذا هو ما

---

(٢٠) الإمام الخامنئي، خطبة في جمع غفير من النساء المؤمنات في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، طهران في ١٤١٨هـ.
(٢١) المصدر نفسه.
(٢٢) المصدر نفسه.

يجب التنقيب عنه وضمانه. وهذا ما أكّد عليه الإسلام[٢٣].

خاتمة

تبيّن لنا من خلال ما قدّمناه أنّ السيّد القائد يعتمد، في تناوله لموضوع المرأة، على منهجيّة موضوعيّة وأصيلة تعتمد على نظرة كليّة للوجود، وتقارب موضوع المرأة من خلال حكاية الله عن النموذج النسويّ، ومن خلال النماذج التي تربّت على يد خاتم الأنبياء، وترى في التشريع الإلهيّ الملاذ الوحيد القادر على تنظيم أمور المجتمع على أساس من العدالة.

ومن شأن هكذا منهجيّة أن توفّر للباحث أرضيّةً علميّةً محايدةً تمكّنه من المساهمة الحقيقيّة في إيجاد حلول منصفة للأزمة العلائقيّة الناشئة بين الرجل والمرأة في ظلّ التحوّلات الجديدة، وبالشكل الذي ينسجم مع حاجات كلٍّ منهما وفق الفطرة التي فطرهما الله عليها.

٢. المرأة والمعنويّات

مقدّمة

يعتبر الإمام الخامنئي دام ظلّه أنّ القدرة على الترقّي في مجال المعنويّات هو الملاك الأساسيّ للإنسان ومضمار تفاضله على جميع المخلوقات. كما يعتبر أنّ الله تعالى قد ساوى بين الرجل والمرأة في هذا المضمار بحسب ما ورد من أدلّة قاطعة في كتاب الله عزّ وجلّ وسيرة نبيّه محمّد وآل بيته عليهم السلام. وعليه، فإنّ المرأة، من وجهة نظر سماحته، تستطيع أن

---

(٢٣) الإمام الخامنئي، خطبة في جمع غفير من النساء المؤمنات في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، طهران في ١٤١٨هـ.

تحتلّ أعلى مراتب الوجود في سلّم الإنسانيّة، إن هي أرادت. ومن أقبح موارد الظلم بحقّ المرأة، بل بحقّ المجتمع بأكمله، حرمانها من فرص الترقّي في هذا المضمار.

ولأهمّيّة انعكاس هذا الجانب من شخصيّة المرأة على المجتمع بأكمله، دأب سماحته، كلّما تحدّث عن المرأة أو معها، على إفراد عنوان خاصّ لعلاقة المرأة بالمعنويّات. وسوف نتطرّق في هذا الفصل إلى بعض من إضاءات سماحته على هذا الموضوع تحت عناوين ثلاث:

١. الأدلّة على مساواة المرأة للرجل على صعيد المعنويّات.

٢. علاقة المعنويّات بالفضائل العمليّة.

٣. أثر المعنويّات على حركة المجتمع.

أوّلًا: الأدلّة على مساواة المرأة للرجل على صعيد المعنويّات

١. الأدلّة القرآنيّة:

انسجامًا مع منهجه القرآنيّ، فإنّ أوّل ما يستمدّ سماحته أدلّته على التساوي بين النساء والرجال في مجال القدرة على تحصيل المعنويّات منه هو كتاب الله الخاتم.

فيرى، مثلًا، أنّ في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ

اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٢٤] دليلًا واضحًا على أنّ «المرأة مثل الرجل، والرجل أيضًا مثل المرأة، يستطيعان أن يصلا إلى أعلى مدارج الكمال المعنويّ والتقرّب إلى الله تعالى»[٢٥].

وفي خطبة أخرى يصرّح سماحته في تعقيبه على نفس الآية، بالقول: «فالمرأة والرجل يسيران جنبًا إلى جنب في هذا الاتّجاه، ويتقدّمان معًا على طريق واحد، كما ذكر القرآن الكريم»، ثمّ يضيف: «إنّ ذلك الصنم الذي أقامته الجاهليّة للرجل دائمًا، فأقبل على تقديسه الرجل والمرأة كلاهما، حطّمه الإسلام في هذه الآيات»[٢٦].

وفي دليل قرآنيّ آخر، يرى سماحته أنّ الله تعالى، ومن أجل تركيز هذه الحقيقة (حقيقة المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة على صعيد الأهليّة للتكامل والمعنويّات) في عقول المسلمين، تعمّد تقديم نموذج عن التكامل المعنويّ، للمؤمنين، من النساء حصرًا. فيقول:

عندما أراد أن يذكر نموذجًا ومثلًا لأعلى درجات الإنسانيّة والتكامل المعنويّ لم يذكره من العظماء ولا من الشخصيّات العلميّة والدينيّة أو الأنبياء عليهم السلام بل ذكره من النساء. فمن بين البشريّة جمعاء من الأوّلين والآخرين، ومن هذا العالم الرحب والتكتّل العظيم لبني آدم، انتخب الله سبحانه وتعالى امرأتين بصفتهما النموذج الكامل للإنسان المثاليّ[٢٧]، ولم ينتخب رجلين ولا رجل وامرأة ولا بدّ أن

---

(٢٤) سورة الأحزاب، الآية ٣٥.

(٢٥) الإمام الخامنئي، «من حديث في جمع من نائبات مجلس الشورى الإسلاميّ»، نور الولاية، (المجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السلام، المكتب الدولي للنساء السائرات على خطّ أهل البيت عليهم السلام)، الصفحة ٦.

(٢٦) الإمام الخامنئي، خطبة في جمع غفير من الأخوات المسلمات في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام ويوم المرأة المسلمة، طهران في ١٤٢١ هـ.

(٢٧) في إشارة لقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، [سورة التحريم، الآية ١١].

يكون لهذا الانتخاب سرّ خفيّ[٢٨].

٢. أدلّة السنّة النبويّة الشريفة:

إلى جانب ما ورد في القرآن الكريم، فإنّ النماذج النسائيّة التي نشأت في بيت النبوّة كالسيّدة الزهراء وابنتها السيّدة زينب عليهما السلام يشكلان، في نظر سماحة الإمام الخامنئي، نماذج واقعيّة على قدرة المرأة، حتّى في أحلك الظروف، على الترقّي في مدارج الكمال. يقول سماحته:

إنّ الإنسان كلّما فكّر وتدبّر أكثر في أحوال الزهراء الطاهرة عليها السلام يحتار أكثر، وحيرة الإنسان ليست ناجمةً عن كيفيّة تمكّن هذا الكائن الإنسانيّ من نيل هذه الرتبة من الكمالات المعنويّة والمادّيّة في سنيّ الشباب – وهي بالطبع حقيقة تثير الحيرة أيضًا –، بل من القدرة العجيبة التي استطاع الإسلام بها أن يبلغ بتربيته الرفعية إلى درجة تُمكّن امرأةً شابّةً كسبت هذه المنزلة العالية في تلك الظروف الصعبة. فعظمة هذا الكائن وهذا الإنسان الرفيع تثير العجب والحيرة[٢٩].

ويقول في موضع آخر:

تقبيل الرسول ليد فاطمة الزهراء عليها السلام يجب أن لا يحمل إطلاقًا على محمل عاطفيّ. إنّه لمن الخطأ والتفاهة جدًّا أن يتصوّر أنّه كان يقبّل يدها لأنّها بنت ولأنّه يحبّها. شخصيّة بتلك المكانة السامية، وبما له من العمل والحكمة، وباعتماده على الوحي والإلهام الإلهيّين، ينحني ويقبّل يد ابنته؟ لا، إنّ هذا شيء آخر وله

---

(٢٨) الإمام الخامنئي، خطبة في جمع غفير من الأخوات المسلمات في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام ويوم المرأة المسلمة، طهران في ١٤٢١ هـ.

(٢٩) الحجاب في رؤية الإمام الخامنئي، http://www.alwelayah.net.

معنى آخر. هذا دليل على أنّ هذه الفتاة الشابّة وهذه المرأة التي كان عمرها حينما فارقت الحياة ما بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين، كانت في ذروة الملكوت الإنسانيّ وشخصًا خارقًا للعادة. هذه هي نظرة الإسلام للمرأة(٣٠).

ويرى سماحته أنّ الزهراء عليها السلام لم تكن النموذج الأوحد الذي تألّق على صعيد المعنويّات، بل هناك نماذج أخرى كثيرة من نساء بيت النبوّة ونساء المسلمين استطعن أيضًا أن يصلن إلى مستويات عالية في مدارج الكمال، وإن كنّ طبعًا لم يصلن إلى المستوى المتفرّد للزهراء عليها السلام(٣١)، ومن هذه النسوة السّيدة زينب عليها السلام. حيث يعتبر السيّد القائد أنّ مصدر عظمة زينب عليها السلام أمام جبروت الطغاة، عظمتها المعنويّة، فيقول:

إنّ زينب الكبرى تعمل على صيانة شخصيّتها وكبريائها وعظمتها المعنويّة سواءً أكانت في المدينة المنوّرة مهد استقرارها وعزّتها، أم في كربلاء موطن محنتها ومأساتها، أم في مجالس جبابرة مثل يزيد وعبيد الله بن زياد(٣٢).

كما ويرى سماحته أنّ هذا الارتقاء المعنويّ متاح للمرأة في كلّ حين، وأنّ «الإسلام يدفع المرأة بهذا الاتّجاه»(٣٣). ولذا يختم إحدى خطبه للنساء بعبارات محفّزة ووجدانيّة فيقول:

إنّكنّ بنات فاطمة الزهراء عليها السلام، وأتباع فاطمة الزهراء. وإنّني لأدعوا الله

---

(٣٠) الإمام الخامنئي، خطبة حول مكانة المرأة في الثقافتين الإسلاميّة والغربيّة، في ٢٠١٠/٢/٨.

(٣١) يقول الإمام الخامنئي:
أمّا نحن فنمتلك الكثير، لدينا نساء عظيمات لو أردنا الدخول إلى ميدان قضايا المرأة. ثمّة عظيمات، في تاريخ الإسلام، وقمّة كلّ هذه العظمة وأوجها هي الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، والسيّدة سكينة أيضًا قصّتهما قصّة مذهلة للناس المفكرين الأذكياء والعقلاء والمتدبّرين.

(٣٢) «مقالة عن السيّدة زينب عليها السلام»، مجلّة بقيّة الله، العدد ١٧٧.

(٣٣) المصدر نفسه.

تعالى أن تشرق على قلوبكنّ أنوار الولاية، والمعنويّة، والمعرفة المقدّسة، وأن تخطو المرأة المسلمة خطوات كبيرة وحسنة كلّ يوم على طريق حفظ ورعاية الهويّة الإسلاميّة، وأن تفيض الألطاف الإلهيّة على الروح المطهّرة للإمام الراحل الذي فتح هذا الباب واسعًا أمام المرأة، وأن تشملكنّ جميعًا أيّتها الأخوات العزيزات الأدعية الزاكية لوليّ العصر أرواحنا فداه[٣٤].

ثانيًا: علاقة المعنويّات بالفضائل العمليّة

يعتبر السيّد القائد أنّ الهدف الأساس من الرسالات السماويّة عامّةً والإسلام خاصّةً هو مساعدة الإنسان على التلبّس بمكارم الأخلاق فيقول في إحدى خطبه:

الإسلام لا يعير أهمّيّةً لجنس الإنسان كأن يكون رجلًا أو امرأة، وإنّما المهمّ لديه هو الأخلاق الإنسانيّة، وازدهار الطاقات، وأداء التكاليف الملقاة على عاتق كلّ شخص أو على عاتق كلّ واحد من الجنسين الذكر والأنثى[٣٥].

ويرى سماحته أنّ هناك علاقةً جدليّةً دائمةً بين المعنويّات والفضائل العمليّة، فكلّما ارتقى في إحداهما تقدّم في الأخرى. يقول دام ظلّه في معرض حديثه عن فضائل الزهراء المعنويّة:

إنّ هذه المسائل المعنويّة لها ارتباط كبير بالفضائل العمليّة، ارتباط بما ينجم عن جهد فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذا المقام لا يعطى مجّانًا وبلا سبب. فعمل

---

(٣٤) الإمام الخامنئي، خطبة في جمع من النساء المسلمات في يوم المرأة المسلمة، طهران في ١٤٢١ هـ.

(٣٥) الإمام الخامنئي، المرأة بين الإسلام والغرب، www. alwelayah.net.

الإنسان له تأثير كبير في إحراز الفضائل والمناقب المعنويّة[٣٦].

الأمر ذاته ينطبق على السيّدة مريم عليها السلام، ونبيّ الله يوسف عليه السلام.

وفي معرض المقابلة بين طبيعة المرأة والرجل يرى سماحته أنّ للمرأة حظًا أكبر من الرجل في الارتقاء في التسامي بفضل ما تمتلكه من ينابيع للمحبّة والحنان فيقول:

فإنّها (أي المرأة) في الوقت الذي تكون فيه جبلًا راسخًا من الإيمان، تعمل على إرواء الظامئين من ينبوع عاطفتها وحبّها ومشاعرها وصبرها وتحمّلها. ويمكن لمثل هذا الحضن الرؤوف أن يعمل على تربية الإنسان، ولولا وجود المرأة بما تتمتّع به من هذه الصفات لما كان هناك للإنسانيّة من معنى. وهذه هي قيمة المرأة وشخصيّتها، التي ليس بإمكان العقول الماديّة الغربيّة المتحجّرة أن تفهمها أو تدركها[٣٧].

ثالثًا: المعنويّات وحركة المجتمع

بعد الاستدلال على التساوي بين المرأة والرجل على صعيد المعنويّات وعلى صعيد الفضائل العمليّة، يذكّر سماحته، النساء والرجال معًا، بأنّ قدر الإنسان وأثره في الوجود مرتبط بمستوى ارتقائه في مدارج المعنويّات ومكارم الأخلاق. ذلك لأنّ الحركة المثمرة في المجتمع هي تلك الحركة النابعة من المعنويّات المضبوطة بالفضائل العمليّة لا الحركة

---

(٣٦) الإمام الخامنئي، «خطبة عن الزهراء عليها السلام»، فاطمة الزهراء عليها السلام في فكر الإمام الخامنئي (معهد المعارف الحكميّة).

(٣٧) «مقالة عن السيّدة زينب عليها السلام»، مجلّة بقيّة الله، العدد ١٧٧.

المنطلقة من الأطماع الماديّة غير المقيّدة بالقيم والفضائل.

وحيث أنّ للمرأة نفس قدرة الرجل على تحصيل الفضائل العمليّة، فيمكنها إذًا أن تكون في أعلى سلّم الأهمّيّة الوجوديّة بصرف النظر عن الموقع القياديّ الظاهريّ الذي تحتلّه في نظر المجتمع. يقول سماحته:

إنّ المرأة بما تتمتّع به من نقاط القوّة التي أودعها الله في كيانها، مصحوبة بالإيمان العميق والاطمئنان الناشئ من اتّكالها على الله وعفّتها وطهارتها، تمكّنها من القيام بدور استثنائيّ في المجتمع، لا يمكن لأيّ رجل أن يقوم به[٣٨].

لذا لا تكاد تخلو خطبة من تأكيد سماحته على أنّ هناك ظلم كبير وقع على المرأة، ظلم في الماضي بسبب تسلّط الرجل عليها وحرمانها من حقوقها في التعلّم والتكامل، وظلم في الحاضر بسبب حرفها عن فطرتها وتزيين الدنيا لها كما هو حاصل في الغرب.

يقول السيّد القائد في مقالة له عن حقوق المرأة ودورها في المجتمع:

يجب أن تكتسب المرأة منزلتها الحقيقيّة وينبغي أن لا يطالها أيّ ظلم بسبب كونها امرأةً. هذا شيء سيّئ جدًّا. سواء الظلم الذي مورس ضدّ المرأة وكان اسمه ظلمًا، أو الظلم الذي لم يكن اسمه ظلمًا لكنّه في الحقيقة ظلم، كدفع المرأة نحو التبرّج والنزعة الاستهلاكيّة، والتجميل العبثيّ، والتكاليف الباهظة، وتحويلها إلى أداة استهلاك. هذا ظلم كبير ضدّ المرأة. وربّما أمكن القول إنّه ما من ظلم فوق هذا الظلم؛ لأنّه يصرفها عن مبادئها وأهدافها التكامليّة ويلهيها بأشياء جدّ صغيرة وحقيرة[٣٩].

ولا تكاد تخلو خطبة أيضًا إلّا ويدعو سماحته النساء إلى التأسّي

---

(٣٨) «مقالة عن السيّدة زينب عليها السلام»، مجلّة بقيّة الله، العدد ١٧٧

(٣٩) مقالة حول «حقوق المرأة ودورها في المجتمع» – مقرّر من معهد المعارف الحكمية.

بالنموذج الفاطميّ والزينبيّ الذي بلغ ما بلغه من التأثير في حركة الوجود حتّى يومنا الحاضر بما تحلّى به على مستوى الفضائل والمعنويّات. يقول سماحته:

إذا استطاع المجتمع الإسلاميّ تربية المرأة وفقًا للأسوة الإسلاميّة؛ اقتداءً بالزهراء وبزينب، وأن ينشيء نساءً عظيمات قادرات على التأثير على العالم وعلى التاريخ، حينذاك تبلغ المرأة مقامها الحقيقيّ والشامخ. وإذا حصلت هي على نصيبها، الذي فرضه الله، والشريعة الإلهيّة للناس جميعًا رجالًا ونساء، من العلم والمعرفة والكمالات المعنويّة والأخلاقيّة، فستكون تربية الأطفال عند ذاك أفضل، وأحضان العائلة أكثر دفئًا ونقاءً، والمجتمع أكثر تقدّمًا، ومشاكل الحياة أسهل حلًّا، بمعنى أنّ الرجل والمرأة يذوقان طعم السعادة. لهذه الغاية يجب أن تبذل الجهود، وهو الهدف المنشود.

ولاستنهاض النساء، رفع مستوى عزيمتهنّ؛ يؤكّد سماحته على إمكانيّة وصول المرأة إلى مثل هذه المقامات انطلاقًا من شواهد معاصرة فيقول:

يا أخواتي، ويا بناتي، ويا سيّدات هذا البلد الإسلاميّ، اعلمن أنّ أيّة امرأة متى نشأت على هذه التربية، وحيثما كانت وفي أيّة أسرة كانت، يمكنها بلوغ نفس تلك العظمة التي لا تختصّ بعصر صدر الإسلام، بل يتيسّر بلوغها حتّى في عهود الكبت، وفي عهود تسلّط الكفر. وكلّ أسرة تربّي فتاتها تربيةً سليمةً، تصبح تلك الفتاة امرأةً عظيمة(٤٠).

خاتمة

(٤٠) مقالة حول حقوق المرأة ودورها في المجتمع– مقرّر صادر عن معهد المعارف الحكمية.

يتبيّن ممّا قدّمناه أنّ أثر المرأة في حركة الوجود، من وجهة نظر السيّد القائد، لا يقلّ أهمّيّةً عن أثر الرجل، كونها تمتلك مثله تمامًا القدرة على الترقّي في مضمار المعنويّات وامتلاك الفضائل العمليّة وبالتالي التأثير الفاعل في حركة المجتمع بحسب السنن والقوانين الإلهيّة.

وانطلاقًا من هذه الرؤية، فقد اعتبر السيّد الخامنئي أنّ المرأة تعرّضت لظلم كبير في الماضي حيث حُرمت من فرص التعلّم والترقّي، وأهملت تنمية طاقاتها المعنويّة واستنزف جهدها ووقتها قديمًا في أعمال سخرة داخل المنزل أو خارجه، أمّا في الحاضر؛ فقد ظُلمت مرّةً أخرى على يد الغرب، الذي زيّن لها المسير في الطريق الذي لا يؤدّي إلى تكاملها وتفتّح كوامن الفضائل فيها، وعلى رأسها العلم والعفاف.

٣. المرأة والمجتمع

مقدّمة

العنوان العريض الثاني الذي يتطرّق إليه سماحة السيّد الخامنئي في تناوله لموضوع المرأة هو «دور المرأة الاجتماعيّ في الإسلام». فيجيب بوضوح عن كلّ الأسئلة والافتراءات الموجّهة إلى الإسلام حول هذا العنوان؛ من قبيل حقّ المرأة في العلم، والعمل، والمشاركة السياسيّة والحركة الجهاديّة، إلخ.

وقد ركّز سماحته، من خلال خطبه، في هذا المجال على عناوين ثلاثة، نتعرّض لها في هذا الفصل على النحو التالي:

١. موقف الإسلام من مشاركة المرأة للرجل في تحمّل المسؤوليّات

الاجتماعيّة.

٢. مساحة المشاركة الاجتماعيّة للمرأة.

٣. الأحكام الشرعيّة المتعلّقة بمشاركة المرأة في المجتمع.

أوّلًا: موقف الإسلام من مشاركة المرأة للرجل في تحمّل المسؤوليّات الاجتماعيّة

بالارتكاز إلى منهجه المنطلق من النظرة الكلّيّة والشاملة لحقيقة الوجود وسننه الكونيّة، يرى السيّد القائد بأنّ المرأة تشكل نصف المجتمع، وأنّ عدم مشاركتها في حركة التعلّم والتعليم والعمل يعني حرمان المجتمع من الاستفادة من نصف طاقاته، وهو بلا شك خسارة للجهود والطاقات.

يقول سماحته:

إذا أراد البلد إطلاق نهضة بناء حقيقيّة، فعليه تركيز جلّ اعتماده ونظرته واهتمامه على الإنسان والطاقات الإنسانيّة. حينما يتعلّق الأمر بالطاقات الإنسانيّة ينبغي الالتفات إلى النساء، هنّ نصف عدد السكان، ونصف البشريّة. إذا كانت ثمّة رؤية خاطئة بخصوص المرأة، فلن يكون من الممكن إعادة البناء بالمعنى الحقيقيّ للكلمة وعلى نطاق واسع. على نساء البلد أنفسهنّ أن يتوفّرن على وعي كاف وضروريّ حول موضوع المرأة من وجهة نظر الإسلام ليستطعن، اعتمادًا على النظرة المتسامية للدين الإسلاميّ المقدّس، الدفاع عن حقوقهنّ بشكل كامل، وكذلك على جميع أفراد المجتمع والرجال في البلد الإسلاميّ أن يعرفوا نظرة الإسلام حول المرأة، وأهمّيّة مشاركة المرأة في ميادين الحياة، وممارسة المرأة لأنشطتها وتعليمها وعملها، ومساعيها الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والعلميّة،

ودورها في العائلة وخارج نطاق العائلة والمنزل[٤١].

ويرى السيّد القائد أنّ جميع الآثار الإسلاميّة تؤكّد أنّ المجال في المجتمع الإسلاميّ مفتوح للمرأة والرجل على حدّ سواء، والشاهد على هذا المعنى - كما يقول سماحته -

هو جميع الآثار الإسلاميّة الموجودة في هذه المجالات، وكافّة التكاليف الإسلاميّة التي تحمّل المرأة والرجل المسؤوليّات الاجتماعيّة بشكل متكافئ. حين يقول رسول الإسلام صلّى الله عليه وآله: 'من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم'، فهذا شيء لا يختصّ بالرجال، إذ على النساء أيضًا الشعور بالمسؤوليّة والاهتمام بأمور المسلمين والمجتمع الإسلاميّ، وشؤون العالم الإسلاميّ، وجميع القضايا الجارية في العالم؛ لأنّ ذلك واجب إسلاميّ[٤٢].

ويستشهد على ذلك بجهاد الزهراء عليها السلام فيقول:

نموذج السيّدة الزهراء سلام الله عليها، في فترة طفولتها، وبعد هجرة الرسول إلى المدينة، وفي داخل المدينة، وفي كافّة الشؤون التي مرّ بها والدها آنذاك - وقد كان قطبًا لجميع الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة - دليل على أهمّيّة دور المرأة في النظام الإسلاميّ[٤٣].

ويحتلّ طلب العلم أهمّيّةً خاصّةً لدى السيّد القائد، لذا لا تكاد تمرّ خطبة من خطبه إلى النساء إلّا ويؤكّد عليه.

يقول سماحته في إحدى خطبه:

---

(٤١) مقالة حول حقوق المرأة ودورها في المجتمع - مقرّر صادر عن معهد المعارف الحكمية الصفحتان ٣٤ و٣٥.

(٤٢) مقالة حول حقوق المرأة ودورها في المجتمع - مقرّر صادر عن معهد المعارف الحكمية، الصفحة ٣٣.

(٤٣) المصدر نفسه، الصفحتان ٣٣ و٣٤.

البعض يظنّ أنّ الفتيات يجب أن لا يدرسن، إنّه خطأ واشتباه. لطالما اهتمّ الإسلام بالعلم والتعلّم، واعتبر العلم حياة الدين. وتُرى هل الدين مختصّ بالرجال دون النساء حتّى تحرم النساء من حياته، فتمنع من العلم والتعلّم؟. لا شكّ أنّ الدين هو للنساء كما هو للرجال ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٤٤]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٤٥] [٤٦].

ويضيف دام ظلّه:

فإن كان العلم أمرًا مطلوبًا بنفسه، وهو هدف وكمال، فلا شكّ أنّ النساء لهنّ سهمهنّ في الكمال، ومن حقّهنّ أن يحصلن على مثل هذا الهدف، وإن كان مطلوبًا ليساعد الإنسان على تأدية دوره على هذه الأرض، وليميّز بين العمل الصالح وغيره، وليختار الطريق الأسلم والأسلوب الأصحّ، فذلك كلّه لا يختصّ بالرجال بل هو ضروريّ وهامّ للنساء بنفس مقدار أهمّيّته عند الرجال[٤٧].

ويستدلّ السيّد القائد على صحّة رأيه بالقول:

فالقرآن الكريم رغم كثرة الآيات التي تحثّ فيه على العلم والتفكير والتدبّر، لم يميّز في آية واحدة بين الرجل والمرأة في ذلك. وكذلك في السيرة نجد سهم النساء في العلم ارتفع عاليًا وحلّق في سماء المجد مع ظهور الإسلام حتّى كان لقب «العالمة» من أسماء سيّدة النساء وقدوة المسلمات فاطمة الزهراء عليها السلام[٤٨].

أمّا بخصوص العمل، فالسيّد القائد، من خلال نظرته الشاملة والقرآنيّة للأمور، لا يحاول تزهيد المرأة بالعمل بل يدفعها باتّجاه بذل كلّ

(٤٤) سورة النحل، الآية ٩٧.
(٤٥) سورة سبأ، الآية ٢٨.
(٤٦) المرأة علم وعمل وجهاد، مصدر سابق، الصفحة ٣.
(٤٧) المصدر نفسه، الصفحة ٣.
(٤٨) المصدر نفسه، الصفحة ٣.

طاقاتها في المشاركة في الأعمال المفيدة لوطنها سواء كان ذلك بهدف الكسب المالي أو لا، ويقول دام ظلّه:

صحيح أنّ العمل من واجبات الرجل لتأمين لقمة عيش العائلة، وهو غير واجب على المرأة من هذه الزاوية، ولكن لا يعني سلبها حقّها واختيارها في ذلك، هذا إذا لم نرى في العمل إلّا مجرّد تأمين لقمة العيش. أمّا إذا التفتنا إلى أنّ العمل ضروريّ لتفعيل الطاقات وخدمة المجتمع قبل أن يكون وسيلةً من وسائل تأمين لقمة العيش، فلا فرق في هذا بين الرجل والمرأة، فكلاهما يستطيع أن يخدم المجتمع ضمن الحدود والقدرات التي أولاه الله تعالى إيّاها[٤٩].

ويستدلّ الإمام الخامنئي على رأيه بالقول:

والشاهد على ذلك جميع الآثار الإسلاميّة الموجودة في هذه المجالات وجميع التكاليف الإسلاميّة التي تجعل المرأة والرجل متساويَين في مسؤوليّاتهما الاجتماعيّة. فإنّ الحديث القائل 'من أصبح ولم يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم' لا يختصّ بالرجال، بل على النساء أيضًا أن يدركن مسؤولياتهنّ تجاه أمور المسلمين والمجتمع الإسلاميّ وأمور العالم الإسلاميّ.

ثانيًا: مساحة المشاركة الاجتماعيّة للمرأة

يرى الإمام الخامنئي أن ليس هناك صيغة ثابتة حول مساحة مشاركة المرأة للرجل في تحمّل المسؤوليّات الاجتماعيّة؛ لذا يستنكر على كلّ من يمنع المرأة من المشاركة الاجتماعيّة، فيقول حفظه الله:

فإذا كانت المرأة تمتلك المؤهّلات اللازمة والطاقات الكافية للقيام بعمل ما، فيتمّ

---

(٤٩) المرأة علم وعمل وجهاد، مصدر سابق، الصفحة ١٦.

منعها من ذلك العمل لمجرّد أنّها امرأة، فلا شكّ بأنّ ذلك ظلم وتعاطٍ غير مناسب مع إنسان استخلف على الأرض، ليفعّل طاقاته ويبدع ويكون خلّاقًا. وهذا الأمر يسري على الأعمال الأساسيّة والمهمّة أيضًا، فلا يقتصر عمل المرأة على الأعمال الصغيرة والتفصيليّة هنا أو هناك، فيمكنها أن تتولّى مسؤوليّات كبيرة وأساسيّة ما دامت مؤهّلةً لذلك(٥٠).

ويستدلّ أيضًا في هذا المجال على مشاركة المرأة في صدر الإسلام في الاهتمام بالشأن السياسيّ، وفي المشاركة في العمل الجهاديّ أيضًا. فيقول:

ونشاط النساء في المجالات الاجتماعيّة هو نشاط مباح ومقبول ومطلوب ومجاز، ولهنّ مزاولته شرط المحافظة على الحدود الإسلاميّة، وهذا ما قامت عليه سيرة المسلمين من القديم، فقد كان للمرأة حضور في جميع الساحات على الدوام. وقد شاركت أخوات بعض الأئمّة أو زوجات النبيّ في الساحات العلميّة والثقافيّة، والسياسيّة والجهاديّة، والثوريّة والعسكريّة. التَفَتْنَ لعدم وجود أيّ مانع من الحضور في أيّ من تلك الساحات، لكنّ هناك حجاب، التَزَمْنَ به، ثمّ أُدخِلْنَ تلك الساحة(٥١).

ولكنّ السيّد القائد لا ينادي، كما هو حال المتأثّرين بالمنحى الغربيّ في معالجة الأمور، بضرورة مشاركة كلّ النساء في أعمال اجتماعيّة، أو بضرورة تحقيق مساواة كاملة على الصعيد الكمّيّ والكيفيّ بين النساء والرجال فيما يختصّ بالأعمال السياسيّة، فإنّ ذلك رهن بكفاءة المرأة وتناسب قدراتها مع العمل المطلوب وحاجة المجتمع إليه(٥٢)، وقبل كلّ

---

(٥٠) المصدر نفسه، الصفحة ١٧.

(٥١) المصدر نفسه، الصفحة ٢٠.

(٥٢) يشير السيّد القائد إلى أنّ هناك بعض المناصب مختَلَف عليها بين العلماء حول جواز تولّيها من قبل المرأة.

شيء، بظروفها العائليّة، فمهما تولّت المرأة من أعمال، ليس هناك ما تخدم به مجتمعها أكثر من المحافظة على أسرتها وتربية أولادها.

لذا، يدعو السيّد القائد إلى النظرة الشاملة والموضوعيّة في مثل هذه المواضيع، وينتقد الآراء المتطرّفة التي تنادي إمّا بالانسحاب من ساحة العمل الاجتماعيّ كليًّا وإمّا الاستغراق فيها كليًّا، فيقول:

البعض يعملون بالإفراط والبعض بالتفريط. البعض يقولون: لأنّ النشاط الاجتماعيّ لا يسمح للمرأة برعايتها بيتها وزوجها وأبنائها إذًا يجب أن لا تزاول النشاط الاجتماعيّ. والبعض يقولون: لأنّ البيت والزوج والأبناء لا يسمحون للمرأة بالنشاط الاجتماعيّ إذًا على المرأة أن تترك زوجها وأبناءها. كلا التصوّرين خاطئ. يجب أن لا تترك المرأة هذا من أجل ذاك ولا ذاك من أجل هذا[٥٣].

ويشير الإمام الخامنئي إلى أنّ المرأة في صدر الإسلام، بالإضافة إلى تضميدها لجروح الجرحى - كانت هذه الأعمال في أكثر الأحيان على عاتق المرأة -، كانت تشترك في ميادين الحرب حاملةً السيف، في الوقت الذي كانت فيه تحتضن في بيتها وأطفالها لتربيتهم تربيةً إسلاميّةً. كلّ هذه الأمور كانت تمارسها المرأة بحجابها وعفافها.

ثالثًا: الحدود الشرعيّة لمشاركة المرأة في الأعمال الاجتماعيّة

يؤمن سماحة القائد بوجوب التقيّد الكامل بالحدود الشرعيّة، فالخالق أعلم بخلقه، وبما يحقّق مصالحهم. وقد حدّد الله سبحانه وتعالى حدودًا لكلّ من المرأة والرجل، تتعلّق بالكيفيّة التي عليهما مراعاتها أثناء تعاملهما

(٥٣) المرأة علم وعمل وجهاد، مصدر سابق، الصفحة ٢٨.

مع بعضهما البعض في الحقل الاجتماعيّ، ومن أهمّ هذه الحدود ما هو متعلّق بأحكام الستر والنظر، وهذا ما يتجلّى في أمرَين.

الأمر الأوّل: للمرأة أن تعمل أيّ عمل ينسجم مع طبيعتها وظروفها، شرط أن تكون مرتديةً للحجاب بحدوده الإسلاميّة[٥٤]. والحجاب، بحسب السيّد القائد، ليس حكمًا على المرأة فقط، بل أيضًا على الرجل. يقول السيّد القائد: «على الرجل طبعًا أن يراعي أيضًا الحجاب في مواضع خاصّة، وأن يحجب أجزاءً من جسمه، لكنّه بالنسبة للمرأة أشمل».

ويرى الإمام الخامنئي في تشريع الحجاب دليلًا واضحًا على التخطيط الإلهيّ لفرض احترام المرأة في المجتمع، وفسح المجال للاستفادة من كفاءتها من دون استغلال. فيقول حفظه الله:

> مسألة الحجاب، وإن كانت مقدّمةً لأشياء أكبر، لكنّها بنفسها قيمة من القيم. نحن مقيّدون بالحجاب لأنّ حفظ الحجاب يساعد المرأة لأن ترتقي إلى درجتها المعنويّة السامية، وتتجنّب السقوط في المزالق الخطرة[٥٥].

الأمر الثاني: الذي يضع له الإسلام حدودًا هو الاختلاط بين الرجال والنساء. يقول السيّد القائد:

> مسألة رعاية الحرمات الجنسيّة في المنظومة الإسلاميّة هي أصل من أصول الإسلام. والمسلمون مؤمنون بذلك، حرمة الارتباط الجنسيّ المحرّم من فروع الدين، لكنّ

---

(٥٤) يلفت الإمام الخامنئي نظر الرجال والنساء إلى أنّ هناك علومًا وأعمالًا هي بمثابة تكليف عينيّ أو كفائيّ على النساء لا بدّ من أخذها بعين الاعتبار، فعلى سبيل المثال كل العلوم التي تحتاجها المرأة لتحسن إدارة منزلها وفق مقتضيات العصر، ولتحقيق تكاملها المعنويّ والأخلاقيّ هي علوم واجبة عليها، كذلك تصدّي بعض النساء للاختصاص في مجال الطبّ والتربية هو واجب أيضًا وفق مقتضيات الأحكام الشرعيّة.

(٥٥) مقالة حول حقوق المرأة ودورها في المجتمع - مقرّر صادر عن معهد المعارف الحكميّة، الصفحة ٣٦.

مقولة رعاية الحرمات، أي وجود حريم بين الجنسين هي من الأصول[٥٦].

وبحسب منهجه، كما أسلفنا، لا يفكّك السيّد القائد بين الحجاب والاختلاط، بل يعتبر أحكامهما مكمّلةً لبعضها البعض. والهدف الأساس حفظ المجتمع من الانحرافات، وحماية الأسرة من التفكك، وقبل كلّ شيء توفير - للرجل والمرأة على حدٍّ سواء - أفضل فرص التكامل والعطاء والهناء الأسريّ.

لذا يدعو السيّد القائد النساء للتعامل مع هذا الموضوع بقوّة الواثق من ربّه وجرأة صاحب الحقّ، فلقد حان الوقت للانتقال من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم. يقول سماحته:

لقد أكّدت مرارًا أنّنا لسنا بحاجة إلى أن ندافع عن موقعنا من المرأة، بل الثقافة الغربيّة المنحطّة هي التي يجب أن تدافع عن نفسها. المشروع الإسلاميّ للمرأة لا يستطيع أن يرفضه أيّ مفكّر منصف، لا يستطيع أن ينكر ما فيه من عطاء للمرأة. نحن ندعو المرأة إلى العفّة، والعصمة، والحجاب، وعدم الاختلاط المنفلت غير المقيّد بين المرأة والرجل، إلى صيانة كرامتها الإنسانيّة، إلى عدم إبراز مفاتنها أمام الأجانب لإشباع نهمهم، هل في هذه التعاليم عيب؟ هذا تحقيق لكرامة المرأة. أولئك الذين يدعون المرأة للتبرّج وإبراز المفاتن إشباعًا لأعين النهمة في الشوارع والطرقات، وإرضاءً لغرائز الرجال وشهواتهم، أولئك يجب أن يدافعوا عن أنفسهم تجاه ما يسبّبونه للمرأة من ذلّة وانحطاط. ثقافتنا يعترف بسموّها حتّى المفكّرون الغربيّون، ويتمثّلونها. في الغرب أيضًا، ترفض النساء العفيفات من ذوات الشخصيّة المحترمة ومن اللائي يحترمن أنفسهنّ أن يجعلن من أنفسهنّ

---

(٥٦) حجاب المرأة في الإسلام غطاء لرأسها وكلّ جسدها بشكل لا يبدو فيها إلّا الوجه والكفّين بشرط أن لا يكون واصفًا لما تحته ولا شفّافًا، وأن لا يكون متضمّنًا للتبرّج أو الزينة الملفتة للنظر ولا أن يكون لباس شهرة.

وسيلةً لإرضاء غرائز الرجال الأجانب، والعيون المتلصّصة[٥٧].

ولا يغفل سماحته في غمرة الحماس لأهمّيّة المشاركة الاجتماعيّة للمرأة على جميع الأصعدة من دعوتها للالتفات لتكليفها الشرعيّ تجاه حقّ زوجها في منعها من الخروج من المنزل، إن رأى في ذلك مصلحةً. ولا يجد سماحته أنّ الحكم الشرعيّ مجحف أو خاطئ بل هو جدّ واقعيّ وهدفه وحدة القيادة في الأسرة صونًا لها من التفكك عند الاختلاف. أمّا كيفيّة الحلّ في نظره دام ظلّه، فهو في وعي المرأة ودراستها المسبقة بواقعيّة ومسؤوليّة لأدوارها الاجتماعيّة المحتملة عند الزواج خاصّةً، وأنّ لها حقّ وضع الشروط التي تجدها ضروريّةً في العقد.

كما ويحذّر سماحته المرأة من التقصير في واجباتها الشرعيّة تجاه زوجها وأولادها فيقول: «إنّ النساء اللواتي يمتنعن عن إنجاب الأطفال بسبب نشاطاتهنّ خارج البيت، يخالف عملهنّ هذا الطبيعة الإنسانيّة للمرأة»[٥٨].

وإنّ اللواتي يُعرِضنَ عن تربية أولادهنّ أو إرضاعهم، أو يَحرِمنَ أطفالهنّ من العطف والحنان الذي يمكن أن يجده أيّ طفل في حضن أمّه، وذلك بسبب بعض الأعمال التي لا تتوقّف إدارتها عليهنّ، فليعرفن أنّهنّ قد ارتكبن خطأً فادحًا[٥٩].

خاتمة

---

(٥٧) مقالة حول الحجاب في رؤية السيد القائد– مقرر صادر عن معهد المعارف الحكميّة، الصفحة ١.

(٥٨) المصدر نفسه.

(٥٩) المصدر نفسه، الصفحة ٣.

يتّضح من خلال استعراض آراء الإمام وكلماته بشأن المرأة ومسؤوليّاتها في المجتمع مدى الجرأة والموضوعيّة والنظرة القرآنيّة الإنسانيّة الثاقبة التي يتمتّع بها سماحته. فلقد هاجم الإمام النظرة التقليديّة السائدة لدى الإسلاميّين، والقاضية بتعميم انسحاب المرأة من المجتمع لصالح العائلة على جميع النساء، كما هاجم، في الوقت نفسه، النظرة الغربيّة الداعية في المقابل لتقديم عمل المرأة في المجتمع على واجباتها العائليّة.

كما أخذ بعين الاعتبار مصلحة المجتمع والأسرة في آن، فلم يغفل أثر تعلّم النساء وعملهنّ يدًا بيد مع الرجال على تنمية المجتمع، كما ولم يهمل التأكيد على حاجة الأسرة إلى ربّة منزل واعية ومتفانية، ولم يعتبر هذا التوازن مسؤوليّة المرأة وحدها، بل حمّل الرجال والنساء مسؤوليّة إيجاد صيغ التعاون لحفظ مصلحة الاثنين معًا.

وأخيرًا، تميّز طرح الإمام بنظرة قرآنيّة إنسانيّة شاملة، حيث اعتبر تعاليم الحجاب والاختلاط، ليست من أجل حجب المرأة عن حركة الوجود، بل على العكس تمامًا، من أجل فرض احترامها واحترام حركتها في المجتمع.

٤. المرأة والأسرة

مقدّمة

المحور الأخير الذي يتطرّق إليه الإمام الخامنئي في أحاديثه مع النساء هو أهمّيّة دور المرأة في الأسرة. وكما تناول الإمام الخامنئي موضوع المرأة في المجتمع بنظرة موضوعيّة إنسانيّة، كذلك لسماحته آراء جريئة ومنصفة في معالجة موضوع المرأة والأسرة.

وسوف نتناول في هذا الفصل آراء الإمام الخامنئي من خلال العناوين التي ركّز عليها سماحته في خطبه وكلماته، والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاث، على النحو التالي:

١. الأهمّيّة الاجتماعيّة لدور المرأة داخل الأسرة.

٢. منظومة الحقوق والواجبات داخل الأسرة.

٣. موقع المرأة داخل الأسرة وكيفيّة حمايتها من الاستغلال والتعسّف.

أوّلًا: الأهمّيّة الاجتماعيّة لدور المرأة داخل الأسرة

يرى السيّد القائد أنّ الدور الأساس للمرأة في المجتمع أن تكون زوجةً محبّةً وأمًّا صالحةً. ويرى سماحته أنّ تأدية النساء لهذا الدور بنجاح، خاصّةً إذا كنّ من المتعلّمات، وممّن يتحلّينَ بالمعنويّات والفضائل العمليّة، يكون له بالغ الأثر على رقيّ المجتمع وتقدّمه وسعادة أفراده.

ويرى سماحته أنّ الطبيعة أعدّت المرأة لهذا الدور العظيم الذي لا يقلّ أهمّيّةً على الإطلاق عن أيّ دور آخر من أدوار الرجال مهما عظموا. ويقارب السيّد القائد هذا الموضوع بعمق كبير، فهو لا يقف عند حدود الدور البيولوجيّ أو المحدود للأمّ داخل عائلتها، بل يرى للمرأة الأمّ، الواعية، القديرة، المحبّة لدورها والمتفانية فيه، أثرًا كبيرًا جدًّا، ليس فقط على زوجها وأولادها، بل على صياغة البشريّة كلّها، وأنّ هذه المسألة قد أدركها الكثير من المفكرين، منذ بدء الخليقة.

يقول سماحته:

المرأة تتولّى بشكل طبيعيّ أعظم المهام في الخلقة... المهام الرئيسيّة في الخلقة مثل الإنجاب وتربية الأطفال تقع على عاتق المرأة. إذًا قضيّة المرأة قضيّة على جانب كبير من الأهمّيّة، وقد كانت مطروحةً ومهمّةً منذ القدم بين المفكّرين وفي إطار الأخلاق والعادات المختلفة للشعوب[٦٠].

أمّا سرّ عظمة ذلك الدور! فلأنّها، ودائمًا بحسب وجهة نظر الإمام، العنصر الرئيس في العائلة الذي يستطيع أن يكون سببًا في صلاح المجتمع عبر تربية أفراد متسامين. يقول سماحته:

يجب أن ننظر للمرأة بعين الإنسان السامي لتتّضح حقيقة تكاملها وحقوقها وحرّيّتها. ينبغي أن يُنظر للمرأة ككائن يستطيع أن يكون سببًا في صلاح المجتمع وتربية أفراد متسامين، ليتّضح ما هي حقوق المرأة، وكيف يجب أن تكون حرّيّتها لينظر إلى المرأة باعتبارها العنصر الرئيس في تشكيل العائلة وإيجادها[٦١].

ويضيف:

السبب في كلّ هذا الاهتمام الذي يوليه الإسلام لدور المرأة في العائلة هو أنّ المرأة إذا التزمت بالعائلة وأحبّتها، واهتمّت بتربية الأبناء ورعتهم وأرضعتهم وأنشأتهم في حجرها، ووفّرت لهم الزاد الثقافيّ (القصص والأحكام، والحكايات القرآنيّة، والأحاديث ذات العبرة)، وغذّتهم بها في كلّ فرصة تسنح كما تغذّيهم بالطعام الجسمانيّ، فإنّ الأجيال في ذلك المجتمع سترشد وتترعرع[٦٢].

من جهة أخرى، يرى سماحته أنّ الله قد خصّ المرأة بخصال ظاهرها الضعف، ولكن في باطنها القوّة، وعلى المرأة أن تدرك أنّ بإمكانها أن تؤثّر تأثيرًا كبيرًا على توجّهات زوجها وأولادها، وحول ذلك يقول دام

---

(٦٠) مقرّر معهد المعارف الحكميّة حول خطب الإمام، الصفحة ٣١.
(٦١) المصدر نفسه.
(٦٢) المصدر نفسه، الصفحة ٣٨.

ظلّه:

تتمتّع المرأة بنفوذ خاصّ لا يقبل الوصف على زوجها، إلّا في حالات استثنائيّة... نفوذ قهريّ طبيعيّ... إنّني في الحسابات النهائيّة أعتبر المرأة أقوى من الرجل، هذا هو رأيي... المنتصر في المواجهة، إذا طالت هذه المواجهة، هو المرأة... بمعنى أنّ المرأة ستتغلّب أخيرًا على الرجل بالأساليب والوسائل التي أودعتها الخلقة[٦٣].

وأهمّ شاهد في نظر سماحته على ذلك هو ما حصل أثناء الثورة الإسلاميّة، حيث أثبتت الأحداث على أرض الواقع أنّ الرجل حينما يخرج لقضيّة، يخرج لوحده، أمّا المرأة إذا خرجت فيخرج كلّ البيت معها. يقول سماحته:

المرأة، مضافًا إلى نسبتها، أي تلك الخمسين بالمئة، فإنّها مؤثّرة في جرّ الخمسين بالمئة الأخرى (أي الرجال) إلى الساحة. أي حيثما تذهب المرأة إلى ساحة النضال والجهاد ستأخذ زوجها معها وتقدّمه إلى الأمام. وهكذا هي المرأة... هذه الشخصيّة، وهذا التأثير الذاتيّ، وهذا التألّق في ساحة النضال ممّا يجب المحافظة عليه[٦٤].

ثانيًا: منظومة الحقوق والواجبات داخل الأسرة

انطلاقًا من الرؤية السابقة حول مساحة دور المرأة داخل الأسرة وخارجها، وحفظًا للحقوق ومنعًا من تحويل المرأة من عضو فاعل ومشارك للرجل داخل الأسرة وخارجها إلى مخلوق خلق لخدمة الرجل وحسب، كما هي النظرة السائدة عند أغلب الأزواج، سنّ التشريع الإسلاميّ منظومةً

(٦٣) المصدر نفسه.
(٦٤) المصدر نفسه، الصفحة ٣٩.

واضحةً للحقوق والواجبات. ومن معالم هذه المنظومة كما يذكر الإمام الخامنئي:

١. المسؤوليّات الأساسيّة الشاقّة على الرجل:

يصرّح السيّد القائد بأنّ الله لم يوجب على المرأة خدمة الرجل والأولاد على نحو الوجوب الشرعيّ، بل بحسب قدرتها ورغبتها. فمثل المرأة في المنزل كمثل الوردة التي يجب المحافظة على نضارتها بشكل دائم، وعدم إرهاقها بالأعمال التي تجعلها تذبل وتموت، لذا فمن حقّها أن تتأمّن لها الحياة الكريمة اللائقة بشأنيّتها من مسكن ونفقة ومأكل وملبس. يقول السيّد القائد «من واجب الرجل في داخل العائلة، حسب وجهة نظر الإسلام، أن يراعي زوجته كالوردة»، وخوفًا من التذرّع بهذا الحديث على أنّ المرأة لا تصلح للإدارة، يُعقّب سماحته: «المرأة ريحانة وليست كهرمانة، هذا أمر لا يتعلّق بالمجالات السياسيّة والاجتماعيّة، وتحصيل العلم والكفاح في الميادين الاجتماعيّة والسياسيّة المختلفة، إنّما هو شيء يتّصل بالوضع الداخليّ للعائلة»[٦٥].

٢. المسؤوليّات الدقيقة اللطيفة على المرأة:

في المقابل، على المرأة أن توفّر للزوج كلّ مستلزمات الراحة، ومنها أن لا تخرج من منزل زوجها بدون إذنه - إلّا إذا كانت قد اشترطت ذلك في عقد الزواج -، وأن تحسّن رعاية الأولاد وتربيتهم، يقول سماحته:

من الواجبات المهمّة هي تربية الابن بعواطفها ورعايتها الدقيقة الصحيحة،

(٦٥) مقرّر معهد المعارف الحكميّة حول خطب الإمام، الصفحة ٣١.

بحيث حينما يكبر هذا الإنسان، سواء كان ابنًا أو بنتًا، يكون إنسانًا سليمًا من الناحية الروحيّة، وخاليًا من العقد وبدون مشكلات وبدون شعور بالذلّ والبؤس والانحطاط والبلايا التي يعاني منها أجيال الشباب والناشئة الغربيّين في أوروبا وأميركا اليوم(٦٦).

وفيما إذا كانت المرأة لديها أعمال اجتماعيّة ملزمة، فعليها أن تحسن التخطيط لنوعيّة الوقت الذي تقضيه مع الأولاد. يقول سماحته:

بعض النساء لديهنّ أعمالهنّ خارج البيت... ولكن عليهنّ ملاحظة نصيب البيت أيضًا. ونصيب العائلة والبيت، ككلّ شيء آخر، يمكن التضحية بكمّيّته في سبيل كيفيّته. أي الانتقاص من كمّيّته. تواجد المرأة في البيت على مدار الساعة له معنًى، ولكن إذا انتقصتم من هذه الأربعة وعشرين ساعة ورفعتم المستوى النوعيّ سيكتسب تواجدها في البيت معنًى آخر(٦٧).

ويدعو السيّد القائد المرأة إلى التأكّد من أنّ ما تعطيه من وقت لمنزلها كاف. وإلّا فعليها إيجاد حلّ. يقول سماحته:

إذا وجدتم أنّ عملكم يضرّ بهذا الجانب فينبغي التفكير بحلّ. هذا شيء مهمّ وأساسيّ إلّا في الحالات الضروريّة. ثمّة في جميع الأمور ضرورات خارج نطاق القواعد، الهمّ في كلّ أعمال المرأة تربية الأولاد وتعزيز معنويّات زوجها للخوض في السوح الكبرى(٦٨).

٣. على الرجل والمرأة أن يبذلا قصارى جهدهما كي تعمر بينهما المودّة والرحمة:

---

(٦٦) المصدر نفسه، الصفحة ٤١.
(٦٧) المصدر نفسه، الصفحة ٤٠.
(٦٨) المصدر نفسه، الصفحة ٤١.

يعتبر السيّد القائد أنّ العلاقة الصحيحة التي يجب أن تسود بين الزوج والزوجة هي علاقة المودّة والرحمة فيقول: «العلاقة الصحيحة بين المرأة والرجل هي هذه المودّة والرحمة (علاقة المحبّة والعطف)، أن يحبّا بعضهما ويعشقا بعضهما ويعطفا على بعضهما»[٦٩].

أمّا كيف يحافظا على هذه المودّة والرحمة، ففي نظر سماحته لا بدّ من أمور:

٣.أ. أن يتعامل الرجل والمرأة كشريكين حقيقيّين:

من الأدبيّات التي يتحفّظ الكثير من علماء الدين على استعمالها وصف علاقة الزوج والزوجة بالشراكة، في حين يستعملها الإمام الخامنئي، بل ويستعمل تشابيهًا لا تترك مجالًا للشكّ، حول أصالة هذه الشراكة وما تقتضيه من احترام كلّ شريك للآخر، وتقبّل خصائصه وخصاله.

يقول سماحته:

> ينظر الإسلام للمرأة والرجل في العائلة كمصرعيّ الباب، أو عينيّ الإنسان أو جنديّين في خندق واحد في جبهة الحياة، أو كتاجرين شريكين في محلّ تجاريّ واحد. لكلّ واحد منها طبيعته وخصوصيّاته وخصاله الجسميّة والروحيّة والفكريّة والغريزيّة والعاطفيّة الخاصّة به. إذا عاش هذان الجنسان إلى جانب بعضهما وفق الحدود والموازين المرسومة في الإسلام، اتّسمت العائلة بالاستمراريّة والعاطفة والبركة والفائدة الجمّة[٧٠].

٣.ب. أن لا ينفق الرجل عواطفه خارج المنزل:

---

(٦٩) المصدر نفسه، الصفحة ٤٠.

(٧٠) مقرّر معهد المعارف الحكميّة حول خطب الإمام، الصفحة ٣١.

يقول سماحته:

> أكبر ظلم يمارسه الرجل ضدّ زوجته في داخل البيئة العائليّة هو أنّه لا يعتبرها شريكة حياته ولا ينفق جميع مشاعره عليها. ينشغل الرجال خارج البيت بممارسات غير شرعيّة من لهو ولعب، وأهواء ونزوات، وشهوات منفلتة، وفي داخل البيت يسود مناخ بارد خال من المحبّة، أو ربّما مشوب بسوء الأخلاق، وأنواع الضغط(٧١).

٣.ج. أن يحرص كلّ من الزوج والزوجة بالحنوّ والعطف على بعضهما البعض:

يطالب الإمام كلًّا من الرجل والمرأة بإشعار الشريك بالاهتمام والحنوّ. فيقول ناصحًا الرجل: «المرأة كالوردة التي يجب رعايتها، إذا تصارع الرجل مع الوردة تفتّت، وإذا تعامل معها كوردة، كانت سبب زينة وتأثير إيجابيّ»(٧٢). ومذكّرًا المرأة:

> بالنسبة للرجل الكبير تفعل الزوجة ما تفعله الأمّ للطفل الصغير. والنساء الدقيقات يعرفن هذه النقطة. إذا لم تكن هذه المشاعر وهذه العواطف التي هي بحاجة إلى محور رئيس في البيت – والمحور هو سيّدة البيت وربّته –، كانت العائلة شكلًا بلا معنًى(٧٣).

وهو في نصائحه تلك يغرف من معين جدّه الإمام الصادق عليه السلام في حديثه الصريح الموجّه إلى الأزواج والزوجات. حيث يقول عليه السلام:

---

(٧١) المصدر نفسه، الصفحة ٤٣.
(٧٢) المصدر نفسه، الصفحة ٤٢.
(٧٣) المصدر نفسه، الصفحة ٤٠

لا غنى بالزوج عن ثلاثة فيما بينه وبين زوجته: (١) الموافقة، ليجلب بها موافقتها ومحبّتها وهواها. (٢) وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة. (٣) وتوسعته عليها.

ولا غنى للزوجة فيما بينها وبين زوجها عن ثلاث خصال: (١) صيانة نفسها من كلّ دنس حتّى يطمئنّ قلبه إلى الثقة في حال المحبوب والمكروه. (٢) حياطته عاطفيًا ليكون ذلك عاطفًا عند ذلّة تكون منها. (٣) إظهار العشق بالخلابة والهيئة الحسنة لها في عينه[٧٤].

ثالثًا: حماية المرأة من الاستغلال والتعسّف

بالرغم من وضوح التعاليم الإسلاميّة بشأن المرأة في النصوص والسيرة، إلّا أنّ على أرض الواقع حدث ويحدث دومًا تعدّيات ومظلوميّات من خلال سوء التطبيق أو التحايل على الحكم الشرعيّ، ويعبّر الإمام الخامنئي بجرأة وشجاعة عن هذه المظلوميّات التي ما زالت تقع بحقّ المرأة. فيقول:

إنّ البعض قد يكون متديّنًا، ولكن نظرًا لعدم المعرفة الصحيحة بالمفاهيم الإسلاميّة، وعدم الاطّلاع الدقيق على أخلاقيّات التعامل بين المرأة والرجل في الإسلام، فإنّ تديّنه لا يقلّل من خطئه ولا يخفّف من تحكّمه وفرض سيطرته، وهذا ليس من الصواب، حيث لا يمكن الجمع بين التديّن وحبّ التسلّط والسيطرة، وهذا ما يجب تصحيحه[٧٥].

---

(٧٤) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، تحقيق وتصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة ٢ (قم: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، ١٤٠٤ هـ)، الصفحة ٣٢٣.

(٧٥) الإمام الخامنئي، خطبة أمام حشد غفير من النساء النخبة والناشطات في المجالات العلميّة والاجتماعيّة في ذكرى ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام، طهران في عام ١٤٢٨ هـ.

ولا يكتفي سماحته بالتحدّث عن الظلم بشكل مجمل بل يعمد إلى تفصيله بشكل ينمّ عن رؤية إنسانيّة عميقة تنظر بعين ثاقبة إلى أثار هذا الظلم على المجتمع كافّةً. وممّا يقوله حفظه الله في هذا المجال:

إذا شعر الرجل في البيت بالملكة، ونظر إلى المرأة بعين الاستغلال والاستخدام فهذا ظلم، وللأسف فإنّ كثيرًا من الرجال يرتكبون هذا الظلم، وكذا الحال في البيئة خارج المنزل.

إذا لم تتوفّر للمرأة أجواء آمنة خارج البيت للدراسة والعمل وتحصيل الوارد والاستراحة، فهذا ظلم وجور.

إذا لم يسمح للمرأة بالدراسة بشكل صحيح، وطلب العلم والمعرفة، فهذا ظلم.

إذا كانت الظروف بحيث لا تجد المرأة الفرصة بسبب العمل الكثير وضغوط الأعمال المختلفة لأن تهتمّ بأخلاقها ودينها ومعرفتها، فهذا ظلم.

إذا لم تتمكّن المرأة من الاستفادة ممّا تمتلك بشكل مستقلّ وبإرادتها فهذا ظلم.

إذا فرض على المرأة زوج معيّن عند الزواج، أي لا يكون لها هي نفسها دور في اختيار الزوج ولم يؤبه لإرادتها وميلها هي في هذا الخصوص، فهذا ظلم.

إذا لم تستطع المرأة سواء حينما تكون داخل البيت مع عائلتها أو إذا انفصلت عن زوجها أن تنهل من أبنائها المعين العاطفيّ اللازم، فهذا ظلم.

إذا كان للمرأة موهبة، مثلا علميّة أو موهبة في الاختراعات والاكتشافات أو موهبة في السياسة أو موهبة في النشاط الاجتماعيّ، لكنّهم لا يسمحون لها

باستثمار هذه الموهبة وتفجيرها، فهذا ظلم[٧٦].

أمّا كيف السبيل لمواجهة هذا الظلم؟ فالمسألة تحتاج في نظر الإمام إلى:

١. إصلاح القوانين:

يقول سماحته مطالبًا ذوي الاختصاص ببذل ما يلزم من جهود: «حيث إنّ بعض القوانين التي تتعامل مع الرجل، ومع المرأة تتطلّب الإصلاح. وهذا يفرض على ذوي الاختصاص دراسة تلك القوانين وإصلاحها»[٧٧]. ويدعو النساء إلى تحمّل مسؤوليّة المتابعة فيقول: «السيّدات أنفسهنّ مطالبات ببذل الجهود في هذا المجال»[٧٨]. وكما يلفت سماحته إلى نقطة مهمّة جدًّا وهي ضرورة وضوح هذه التشريعات وتلاؤمها مع روح العصر فيقول: «إنّه وبالرغم من أنّ أعمالًا جيّدةً قد أنجزت في هذا المضمار إلّا أنّه يجب أن يصاغ هذا بلغة العصر»[٧٩].

٢. الدفاع الأخلاقيّ القويّ والعقلانيّ:

يدعو السيّد القائد إلى التصدّي بقوّة لكلّ من تسوّل له نفسه ظلم المرأة أو التعدّي عليها، فيقول:

---

(٧٦) مقرّر معهد المعارف الحكميّة، الصفحة ١٣.

(٧٧) الإمام الخامنئي، خطبة أمام حشد غفير من النساء النخبة والناشطات في المجالات العلميّة والاجتماعيّة في ذكرى ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام، طهران في عام ١٤٢٨ هـ.

(٧٨) الإمام الخامنئي، خطبة في جمع غفير من النساء المؤمنات في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، طهران في ١٤١٨هـ.

(٧٩) المصدر نفسه.

أمّا الدفاع الأخلاقيّ فإنجاز يتيسّر عن طريق مواجهة الأشخاص الذين لا يدركون الحقائق ويعاملون المرأة في البيت كمستخدمة، ويظلمونها ويعتبرونها غير مؤهّلة للرقيّ المعنويّ. ويجب التصدّي لمثل هذه الآراء بشدّة ولكن بشكل منطقيّ وعقلانيّ"[80].

٣. معرفة المرأة لحقّها والدفاع عنه:

يقول سماحته: «إنّ الرادع الحقيقيّ لممارسة الظلم يتمثّل في الله والايمان والقانون، وأيضًا في معرفة المرأة لحقّها الإنسانيّ والإلهيّ والدفاع عنه وسعيها لتحقيقه بكلّ معنى الكلمة»[81].

وفي حديث آخر يقول سماحته:

إنّ من يجب عليه أن يعرف حقوق المرأة في الإسلام وأن يدافع عنها، هي المرأة بالدرجة الأولى. يجب على النساء أن يعرفن ماذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم عن المرأة، وماذا يريد منها، ويجب أيضًا أن يعرفن من الذي يحدّد مسؤوليّة المرأة حتّى تستطيع أن تدافع عن حقّها بما يقوله الإسلام وفي إطار الإسلام؛ وإذا كانت المرأة بعيدةً عن هذه الأمور، فسوف تسمح لفاقدي القيم الإنسانيّة أن يمارسوا الظلم لها[82].

٤. تنشئة الرجال على التعامل الأخلاقيّ:

يقول سماحته: «إنّ عصا القانون قادرة على الردع، ولكن وكما أسلفنا،

---

(٨٠) المصدر نفسه.

(٨١) الإمام الخامنئي، خطاب في التجمّع العظيم لتكريم النساء المجاهدات في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، طهران في ٢٠٠٩/٤/١.

(٨٢) المصدر نفسه.

فإنّ كلّ شيء يبقى ممكنًا بسلوك الرجل القويم وأخلاقه الفاضلة»[٨٣].

٥. تغيير الثقافة النمطيّة السائدة حول المرأة والرجل:

يقول السيّد القائد:

إذا اتّسم الجوّ الثقافيّ بالشفافيّة في مجال قضايا المرأة وتوضّحت أحكام الإسلام وآراء القرآن في هذا الباب، فمن الطبيعيّ أن ينتهي الأمر إلى تمهيد السبيل أمام المرأة لبلوغ الغاية المنشودة والأهداف المرجوّة، حتّى إن كان المطروح في هذا الموضوع ظاهرة كلام وبحث إلّا أنّه في الواقع عمل؛ لأنّ مثل هذا الكلام يجلي الفكرة الثقافيّة للمجتمع وينير أذهان أبنائه[٨٤].

ويدعو الإمام الخامنئي المرأة لتحمّل المسؤوليّة في هذا المسار فيقول: «اعلمن أنّ على كاهل سيّدات بلادنا اليوم مسؤوليّات جسام، وعلى رأس هذه المسؤوليّات تصحّح النظرة الخاطئة لقضيّة المرأة والرجل»[٨٥]. ويضيف: «إنّ باستطاعتكنّ اليوم أيّتها السيّدات القيام بدور في هذا المجال، فبوسعكنّ البحث والتأليف والنشر، وتحقيق ذلك أيضًا على الساحة العمليّة»[٨٦].

---

(٨٣) الإمام الخامنئي، خطبة أمام حشد غفير من النساء النخبة والناشطات في المجالات العلميّة والاجتماعيّة في ذكرى ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام، طهران في عام ١٤٢٨ هـ.

(٨٤) الإمام الخامنئي، خطبة في جمع غفير من النساء المؤمنات في ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، طهران في ١٤١٨هـ.

(٨٥) المصدر نفسه.

(٨٦) المصدر نفسه.

يرى سماحته أنّ تحقيق التوازن والعدالة في المنظومة العلائقيّة بين الرجل والمرأة، داخل المنزل وخارجه، بالصيغة التي أرادها الإسلام، سوف تشكل سبيل نجاة للعالم أجمع، وعلى النساء الواعيات أن يسعَيْن بكلّ قوّة لتقديم هذا النموذج. يقول سماحته:

إنّ القضيّة في غاية الأهمّيّة، وإنّنا لو اشتغلنا جيّدًا على قضايا المرأة عندنا، فسنكون قد قدّمنا خدمةً جليّةً للمجتمع النسويّ في كافّة بقاع العالم. قد يكون من الممكن أن يلاحظ البعض ذلك بسرعة، وقد يدركه البعض الآخر فيما بعد، ولكنّها ستكون خدمةً لا يمكن إنكارها فيما يرتبط بالمرأة وقضاياها في العالم إذا ما عملنا بمهارة وجدّيّة[٨٧].

خاتمة

يتبيّن لنا، من أقوال الإمام الخامنئي واستفتاءاته، أنّ سماحته يعتبر:

١. رعاية المرأة لأسرتها يأتي في أولويّة مسؤوليّاتها الاجتماعيّة.

٢. الأحكام الفقهيّة التي تحدّد حقوق كِلا الزوجين وواجباتهما دقيقة وعادلة، وتراعي طبيعة كلّ من المرأة والرجل وحاجاتهما، وإن كانت هناك الكثير من المواضع التي تحتاج لمزيد من الاجتهاد.

٣. ما حصل من تعدّيات وظلم على المرأة داخل المنزل ناشئ من سوء التطبيق وليس من سوء التشريع.

٤. لا بدّ من حماية دور الزوجيّة والأمومة من أيّ استغلال يسيء

(٨٧) المصدر نفسه.

إليه، ويزهّد المرأة فيه، وذلك عبر استنان القوانين الرادعة الكفيلة بعدم استغلال المرأة أو إلحاق الأذى بها من جهة، وبتثقيف المرأة والرجل وتعريفهما بمكاسبها من منظومة الحقوق والواجبات الأسريّة في الإسلام من جهة أخرى.

٥. لا بدّ من مواجهة أيّ تنكّر لحقّ من حقوق المرأة سواء كان الحقّ قانونيًا أو أخلاقيًا؛ لذا يطالب سماحته أن يكون التصدّي حاسم وعلى صعيدين:

أ.على صعيد سنّ القوانين اللازمة من أجل ضمان تطبيق الأحكام الفقهيّة ببعدها الأخلاقيّ وعدم التحايل عليها.

ب.على صعيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحزم وجرأة لكلّ من يتجرّأ على التهاون بالحقّ الأخلاقيّ.

٦. على المرأة المسلمة أن تسعى جاهدةً لتبيان نظرة الإسلام حول المرأة، وإلى تقديم النموذج الفاطميّ الكفيل بتقديم طرح جديد يسهم في إصلاح الواقع المتردّي للمرأة في الشرق والغرب على حدّ سواء.

الخاتمة

من خلال منهجه المتميّز في النظر والمعالجة لموضوع المرأة، بيّن سماحة السيّد الإمام للباحثين والعلماء والمفكرين والقياديّين أنّ مقاربة موضوع المرأة ليست بترف فكريّ أو عمل جزئيّ يتعلّق بشريحة من شرائح المجتمع، بل هو أحد المواضيع المركزيّة الذي يتوقّف على حسن التخطيط فيه صلاح المجتمع بأكمله.

وهو كأيّ موضوع مركزيّ لا يكفي فيه بلورة رؤية واضحة حوله، بل يجب تأمين المستلزمات الثقافيّة والاجتماعيّة والقانونيّة الكفيلة بتحويل هذه الرؤية إلى حركة حقيقيّة على أرض الواقع.

ولقد قام سماحته بما عليه، كمرجع دينيّ ووليّ فقيه، في تحديد معالم هذه الرؤية بوضوح تامّ، وطالب الفقهاء والمتشرّعة والمثقّفين من النساء والرجال بتحمّل مسؤوليّاتهم في استنباط واستنان ما يلزم من أحكام فقهيّة ونصوص قانونيّة كفيلة بمعالجة الخلل والظلم التاريخيّ الذي وقع على المرأة، بل على المجتمع كلّه من خلال النظرة المشوّهة في القديم والحديث لموقع المرأة ودورها في الوجود.

أمّا معالم هذه الرؤية، كما بيّنّا من خلال أقوال الإمام، فيمكن تلخيصها على النحو التالي:

١. بقدر ما يخطّط لتوفير أفضل سبل التعليم والتكامل والإبداع والعمل لجميع أفراد المجتمع بقدر ما يتقدّم المجتمع ويزدهر.

٢. يشكّل النساء ٥٠٪ من المجتمع على الصعيد الكمّيّ، ولكنّهم على الصعيد الكيفيّ يؤثّرون إلى حدّ كبير على الـ ٥٠٪ الآخرين (أزواجًا وأولادًا).

٣. على قدر ارتفاع المستوى العلميّ والأخلاقيّ والروحيّ والجهاديّ للنساء يتوقّف صلاح المجتمع أو انحرافه.

٤. ارتفاع المستوى العلميّ والأخلاقيّ والروحيّ والجهاديّ للمرأة أمر يستلزم التخطيط الجيّد لتمكين المرأة من تحصيل تلك المستويات من دون الوقوع في سلبيّات.

٥. أهمّ السلبيّات تنشأ من ثلاثة أخطار أساسيّة:

أ. ظلم المرأة واستغلالها لخدمة الرجل فقط، وحرمانها من فرص التعلّم والتكامل والعمل والنضج.

ب. المفاسد التي يمكن أن تنتج من اختلاط الرجال بالنساء على مقاعد الدراسة، وفي سوح العمل.

ت. تضعضع الأسرة بسبب عدم توفّر الوقت للنساء أو الدافعيّة أو القدرة على حسن إدارة شؤون الأسرة.

٦. معالجة هذه السلبيّات تحتاج إلى التخطيط على مستويات ثلاث:

أ. العمل على رفع المستوى الإيمانيّ والأخلاقيّ لدى أفراد المجتمع كافّةً والنساء خاصّةً وتصحيح نظرتهم إلى الحياة الدنيا.

ب. اطّلاع النساء على وجهة نظر الإسلام حول المرأة والتبصّر بأهمّيّتها في مقابل الرؤيتين التقليديّة والغربيّة، المجحفتين بحقّ المرأة.

ت. استنان القوانين الكفيلة بضمان تطبيق الحدود الشرعيّة وحفظ الحقوق والواجبات، ومنع أيّ استغلال أو ظلم للنساء من قبل الرجال، بشكلٍ يحقّق العدالة والسعادة للجميع، ويحفظ الأسرة من التفكّك ويؤمّن للمجتمع ما يلزمه من طاقات وكفاءات قادرة على التصدّي لكلّ الاحتياجات.